البلاغة وآيات القرآن الكريم

عند أهل السنة والجماعة

البلاغة وآيات القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة

عبد السلام الجراية
الطبعة الأولى : ٢٠١٩
رقم الإيداع : ٢١٨١٥ / ٢٠١٩
ISBN 978-977-6739-06-2
١٣٦ ص ، ٢٠ سم

الناشر: الحسناء للنشر والتوزيع
{جميع الحقوق محفوظة ©}
التوزيع لجميع أنحاء العالم

إضافة
للنشر والتوزيع

الإسكندرية

ج ٠ م ٠ ع

المراجعة اللغوية: عادل أبو الأنوار
غلاف وإخراج فني: أمير مصطفى

البلاغة وآيات

عند أهل السنة والجماعة

عبد السلام الجراية

البلاغة ومراحل تطورها

المراحل الثلاث الأساسية التي مرت بها البلاغة:
أولاً: مرحلة النشأة على هوامش العلوم الأخرى ومن أمثلتها المجاز في القرآن - الكتاب أيضًا فيه بلاغة.
ثانيًا: مرحلة التكامل المشترك.
ثالثًا: مرحلة الاستقرار والنضوج - التفرد والجمود.
رابعًا: مرحلة النهضة وإحياء البلاغة.

واستمرت المدارس النقدية الحديثة - الأسلوبية والبنيوية - واتخذوا من كتابات الجرجاني مثالاً لهم، ثم التفكيكية لدريدا والتداولية لناعوم تشومسكي، ثم نظرية علم النص - ثم النقد والبلاغة الجديدة من تفاعلية حجاج.. إلخ.
ولا شك أن هذه النظريات لها إيجابيات وسلبيات، وعلينا أن نأخذ من الإيجابيات بحذر، ولكي ننفتح على العالم، ونرفض السلبيات القديمة منها؛ كالمعتزلة الذين حاولوا إدخال مذهبهم الباطل للدين من هذه الطريق؛ اللغة والبلاغة والإعجاز والصرفة، حتى وصلوا للقواميس لتمكين مذهبهم بها.

تنقسم البلاغة إلى بلاغة تدريسية ومثالها أسرار البلاغة، وبلاغة الإعجاز ومثالها دلائل الإعجاز.

وقد جمدت البلاغة بعد السكاكي ولكنها قبل ذلك كانت قد قطعت أشواطًا كثيرة خلال أربعة قرون منذ أن نشأت على نحو واضح في بداية القرن الثالث على الهوامش العلوم (كالتفسير)، أما المرحلة الثانية فإن ملامحها بدأت تتبلور وتتخذ شكل ملاحظات، وحيث أخذت هذه الملاحظات تلتئم في مباحث ولكنها لم تستقل في كتب، بعد المرحلة الثالثة ظهرت كعلم متفرد ونضجت ثم جمدت، وهذه هي مراحل التدرج الطبيعي لأي علم.

المرحلة الأولى: النشأة:

اعتمدت البلاغة على العلوم الأدبية – اللغوية - القرآنية والكلام، وقد طغت عليها جميعًا العلوم القرآنية، ولذلك فشلت جهود المعتزلة في تحريف الدين (تأويله)، ونجح أهل السنة والجماعة (ما تزال طائفة ظاهرة على الحق لا يضلهم من خالفهم إلى يوم القيامة) حديث صحيح والذي يهمنا العلوم القرآنية في بحث الإعجاز.

العلوم القرآنية:

هي مجموعة العلوم التي اهتمت بالنص القرآني، والصلة قوية واضحة، فالتفسير يهتم بتحليل النص القرآني من الناحية البلاغية، وكان بيان القرآن واضحًا في القرون الأولى حتى تدخلت الشعوب الأخرى التي لا تتكلم العربية وذهبت السليقة العربية، وأتت الدولة العباسية وترجمة اليونانية الفلسفية واعتقدت عقيدة المعتزلة رسميًا، وحرص علماء الكلام والفلسفة من معتزلة وغيره من الضالين على صدق فنون العربية والبلاغة لإدخال عقيدتهم الباطلة في القرآن وكان رئيسهم عطا ألثغ في الراء، فتم استبعادها في جميع خطبه، ويعرّف العلوي صاحب الطراز البلاغة: "هي العلم الذي يمكن منه معرفة الإعجاز".

والطريقة لامتلاك المَلَكة الدربة على الأدب والشعر؛ لأنه المحفوظ من ديوان العرب، وخلال ١٤ قرنًا لم يتغير القرآن، وما زالت أبحاث الإعجاز إلى الآن.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾
الحجر: ٨٥

وضحّى خالد بن عبد الله بالجعد بن درهم، وبسبب مسألة خلق القرآن عذب العباسيون الإمام أحمد، وانتصر الإسلام (ستفتحون القسطنطينية)، و(ما بيت من مدر ولا وبر إلا يدخله الإسلام).

مقدمات ومراحل محمود شاكر

١. الشعر الجاهلي واضح أنه كتِب في ما قبل الإسلام من منهجه وأسلوبه وتناوله لصور الحياة الجاهلية، ومنهج القصيدة الجاهلية معروف.

ولقد أتى على ١٤ قرنًا من الزمان لم يحاول أحد معارضة القرآن ولو من قبيل التسلية كما قال طه حسين نسفه، قال تعالى على لسان الكفرة: (لولا أنزل عليه آيات من ربه)، والجاحظ كان في كتبه يرد على النظام، ولغطو في ذلك كثيرًا بسبب (الصرفة)، وأذهب إليه كجهم والرماني تكلم عن الموسيقى، ومن الحسن استخدام إبلاس بدلاً من الإعجاز.

مجاز القرآن: نقل الكلمة من العام إلى استخدام الإسلام لها مثالاً: (ليس البر... ولكن البر من آمن)، ويتحول مدلول الفاعل إلى مفعول، مثال: (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة)، وهي التي تنوء بالمفاتيح (والنهار مبصرًا) ظرف يفعل فيه، ومثله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما).

هذا هو التعريف الأصلي الحقيقي للمجاز، لا كما تقول المعتزلة والفرق الضالة (لكل تنزيل تأويل، ولكل ظاهر باطن) تأويل الأسماء والصفات، وعند القرامطة الشريعة حتى يدمروا الإسلام.

مشكل القرآن

أبو قتيبة إمام أهل السنة وعلم السلف للخلف، وجاء الكتاب للرد على الفلاسفة والمعتزلة.

الباب الأول في الرد على الطاعنين والمشككين:

- اختلاف القرآن تنوع لا تضاد.
- ثم عطف على الاختلاف في فهم الأساليب، فالطول يؤول للدعاء، والإنشاء إلى خبر والعكس، مثال (باعد بن أسفارنا)، (وجعلنا البيت آمنا) أن أجعلوه كذلك، ومثاله كثير.

الباب الثاني: الرد على إيهام التناقض في القرآن الذي أدعاه الفلاسفة والفرق الضالة، ورد على الجاحظ الذي يقول إن النعيم في الآخرة معنوي كاليهود والنصارى وكذلك العذاب.

والثالث كذلك في اتخاذ المتشابه غرضًا لهدم القرآن، ثم دراسات البيان.

١. **المجاز**: ردًا على المعتز (كلم الله موسى تكليمًا) توكيد بالمصدر المنون، فهو كلام حقيقي، وردًا على المعتزلة، أما تأويلهم (قلنا للسماء والأرض ائتيا طوعًا أو كرها قالتا أتينا طائعين) وفي قوله تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) دليل على سعد جهنم عندهم، وهذا التسويغ التحريفي (التأويل) عند العامة، ثم قال (وهل في نطق السماء والأرض وجهنم من عجب؟).

والله ينطق الجلود والأيدي والأرجل.

والطير يسبح فهذه هي طلاقة القدرة.

٢. **الاستعارة**: استعارة كلمة مكان أخرى لمشاكلة بينهما (ولا يُظلَمون نقيرًا) وهو ما يكون في شق النواة، أي لا يظلمون حقيرًا، ومثاله (فمنهم من قضى نحبه) والنحب النذر لأن الأجل بسببه، والكلمة ومضادها كـ(القرء)، واللديغ السليم، والاستهزاء (ذق إنك أنت العزيز) فهذا ليس أمرًا وإنما استهزاء، **الأضداد**: الصريم هو الليل والنهار، (فأصبحت كالصريم) كالليل، والصرم هو الاحتراق من شدة الزمهرير، **المقلوب**: (دنا فتدلى)، (أرأيت من اتخذ إلهه هواه)، و(إن مفاتحه لتنوء بالعصبة) للشدة،

٣. فالديغ عندما قيل عليه سليم كان في عقله أنه متفائل بالسلامة، وكذلك المفازة للصحراء وللغموض.

البلاغة في القرن الثالث:

١. الأضداد للأصمعي ولأبي حاتم وابن السكيت.
٢. الأجناس أبو عبيد القاسم بن سلام والكامل للمبرد.

* نقد الشعر لقدامة بن جعفر المتوفى ٣٣٧هـ، قعّد البلاغة بأرسطو ولذلك فشل ودفع بالبلاغة إلى التعقيد الذي نحن فيه، الموازنات بين شعراء تلك الطبقة: أبو تمام، المتنبي، البحتري، بشار ومسلم بن الوليد.
* كتاب ابن المعتز الأمير في البديع والشعر، توفي سنة ٢٦٦.

بداية الاستقرار
بحوث إعجاز القرآن

الواسطي والرماني والخطابي والباقلاني

أما الواسطي فمات ولم نجد كتبه

أ- الرماني:

النكت في الإعجاز لأبي حسن علي بن عيسى الرماني، كان نحويًا متكلمًا، الإعجاز في الأدب والبلاغة على درجات، منها الإنساني ومنها المعجز، وتعريف البلاغة والنظم (التلاؤم)، ويقصد بها تقارب مخارج الحروف، وموسيقى القرآن التجانس، (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه)، والمبالغة (فعّال لما يريد)، والحذف (ولو ترى إذ وُقفوا على النار)، والبيان ينقسم إلى كلام وحال وإشارة، وعلامة التأثر به عند الرماني مثاله (وسيق الذين اتقوا... وفتحت أبوابها.. فأدخلوها خالدين) متحصلين على النعيم.

التعبير الأدبي والأريحية واجتماع كل هذا يؤدي للإعجاز (ضُرِبت عيهم الذلة) أبلغ من فُرِضت، والتأثير النفسي ظاهر عنده في القرآن: (سمعوا لها شهيقًا) من شدة الحرارة، والتصوير الحي يقوي المعنى (يوم عقيم) لا يلد بحده.

أمثلة من رسالة الإيجاز والقصر: (لكنّ البِرّ) (لو أن قرأنا سُيّرت...)، والإيجاز بالقصر (لكم في القصاص حياة)، والتشبيه (الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة..)، (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح..) (إلا كباسط كفيه للماء) هذا الكافر يدعو الأصنام كما يدعو هذا الظمآن الماء ولا يصل إليه.

ب- إعجاز القرآن عند الخطابي:

هو إمام أهل السنة، كتب (معالم السنن) (شرح البخاري والترمذي) واستشهد به ابن رجب الحنبلي في حديث جبريل والإيمان، وهو شاعر أديب، ومن غرائب الطرائف أن يقال عنه إنه يقول بالصرفة.

نظرية الإعجاز عند الخطابي.

١. بلاغة القرآن أمر فائق من نوع إحياء الموتى لعيسى وقلب العصا لموسى.
٢. القرآن يجمع بين كل الصفات الفخامة والعذوبة والجزالة والمتانة في وقت واحد، وهذا ما لا يستطيعه البشر.
٣. الكلام هو ١- لفظٌ حامل. ٢- معنى قائم. ٣- رابط ناظم.

بلغ القرآن الشأن الأعظم في ذلك كله، وهذا نواة النظم.

أمثلة من رسالة الخطابي:

(اعملوا آلَ داودَ شكرًا) الحمد عكسه الذم، بينما الشكر عكسه الكفران.

(ومن يوق شح نفسه) الشح هو أكل مال أخيك ظلمًا، أما البخل فألا تخرج شيئًا من يدك.

(ألست بربكم) الإجابة بـ (بلى) عن السؤال المنفي.

قوله تعالى عن مقالة إخوة يوسف لأبيه: (أكله الذئب) لم يبق من شيئًا، أما أفترسه فقد يبقى منه شيئًا ولو يسيرًا.

(وانطلق الملأ أن امشوا واصبروا) المشي أولى من المُضيّ والانطلاق للاستمرار على نفس السجية، ولا تبدوا انزعاجًا، بل بالثبات والصبر على الآلهة.

- امشوا على هيئتكم، ألّهوني والزموا دينكم واجتمعوا عليه.

(هلك عني سلطانيه) الهالك لا يؤوب، والذاهب قد يعود.

(إنه لحب الخير لشديد) البخيل.

يقول طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام النفوس ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

(سيجعل لهم الرحمن وُدًا) في قلوب المؤمنين.

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقًا منهم لكارهون) كارهون للخروج كما كرهوا توزيعك للغنائم.

(كما أنزلنا على المقتسمين) أرسلناك عقوبة لهم.

ومعنى التضمين أو الجملة الاعتراضية مبين في قوله تعالى (بل الإنسان على نفسه بصيرة) ثم جاءت (لا تحرك به لسانك).. ثم رجعت (كلا بل لا تحبون).

مثاله المدرس يشرح والطلبة يكتبون وراءه حتى يكون مرجعًا، فيتوقف المدرس عن الشرح قائلاً لهم الآن افهموا وسأترك لكم الكتب، ويرجع مرة أخرى لدرسه الذي كان فيه من قبل، كذلك (لا تحرك به لسانك) جملة اعتراضية بين قوله بل الإنسان على نفسه بصيرة، وبين قوله كلا بل لا تحبون الآخرة.
(ولو أنّ قرآنًا سُيّرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعًا).
ولو أن قرآنًا.... لكان هذا القرآن.
الحذف في مثل هذا أبلغ؛ لأن النفس تذهب كل مذهب، و"بل" للإضراب عنهم، (إنما تنذر من أتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب).
﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾ الأنعام: ٧٠

ج_ إعجاز القرآن عند الباقلاني:

يختلف القرآن اختلافًا واضحًا، فالبلاغة القرآنية عنده مثل الخطابي لا تقارن بالبلاغة البشرية، ثم ضرب أمثالاً بذلك واضعًا أبوابًا للبلاغة، الفرق أنه البحث عن الشيء الذي هو ليس من صنع الإنسان.

وهذا ذكر بعض ما كتبه في كتاب إعجاز القرآن مختصرًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٤٢

انظر لقوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ الشورى: ٥٢

أي أن هذا القرآن روح يصرفه الناس كما يحيون أجسادهم بالطعام، والقرآن يحيي النفوس والأرواح.

(**أَوْحَيْنَا**) نون العظمة (هذا القرآن) روحًا من أمرنا (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) الجملة مؤكدة بإن والضمير واللام الموطئة للقسم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ الشورى: ٥٣

كلمتان مؤتلفتان والأخيرة منفصلة.

البلاغة عشرة أقسام: إطناب وإيجاز - تشابه - استعارة - تلاؤم فواصل - تجانس - تصريف تضمين مبالغة وحسن بيان الإيجاز - حذف وقصر.

لفظ قليل غير مخل يشمل الكثير.

الحذف (واسأل القرية) أي أهلها، والقصر مثاله (إنما بغيكم على أنفسكم) (ولا يحق المكر السيءُ إلا بأهله).

مرحلة النضوج

عبد القاهر الجرجاني

وكتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

عرض وتحليل

تبدأ البلاغة بالعبارة التي لها دلالة، وهي الجملة، فالنص مجموعة جمل، والجرجاني يثبت للفظة الفضل بأن لا تكون نابية أو متوحشة، فهي لا دليل لها إلا إذا وضعت في جملة.

إذًا ما هي البلاغة؟ هي دراسة التلاؤم والتوافق بكل مكوناتها والمعاني القائمة بالنفس بكل خفاياها، وإن كل هذا الربط بين ظاهر الكلام المتمثل في الصياغة والنسج والتصوير وبين المعاني القائمة في الصدر هو عنده تعريف النظم ورأسه، فهو - أي النظم - عنده مؤسس على شقين؛ الأول توخي معاني النحو،

والشق الثاني المعاني القائمة في الصدور، فرسالة البلاغة هي الإبانة عن المعاني القائمة في النفوس، واللفظ مهم ولكن في خدمة التركيب اللغوي والمعنوي، والذي يصل إلى القارئ فيؤثر فيه، وقد نعلم أن سيبويه أنضج علم النحو وأداره على مقاصد المتكلمين في توخي المعنى، لماذا فتحوا الفاعل ولماذا نطقوا به هكذا، وتوخي اللفظ للمعنى كما عند سيبويه هي الفكرة الأساسية التي بنى عليها عبد القاهر كلامه، وكان سيبويه يربط ربطًا جازمًا بين النحو والبلاغة، فهما صنوان لشيء واحد هي اللغة.

ولا يتصور في الألفاظ بوجوب التقديم والتأخير، وتنحصر في الترتيب والتركيب، كقولنا الاستفهام له صدر الكلام، والصفة لا تتقدم على الموصوف، والمبتدأ والخبر والمسند والمسند إليه.

معنى المعنى "نؤوم الضحى" أمرأة مخدومة تنام للضحى، "كثير الرماد جبان الكلب" دليل على الكرم، وهكذا.

وبناء اللفظة وضمها لأختها لإفادة المعنى المقصود، العبارتان المختلفتان لا تعبران أو تدلان على شيء واحد أبدًا، حتى لو تشابهتا،

وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ هود: ٤٤

أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع لارتباط هذا الكلم بعضه ببعض، فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت لوحدها لأفادت معنى؟ وكيف الشك ومعلوم أن مبدأ العظمة أن نوديت الأرض؟ ثم أُمِرت بـ"يا أرض" أداة النداء يا الياء والألف للتنبيه، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون القول ابلعي الماء، و"غيض الماء" بالبناء للمجهول، ثم قُضي الأمر، ثم النتيجة الأخيرة القاعدة النهائية "واستوت على الجودي"، ثم إضمار سفينة للدلالة على العظمة، ثم "قيل بُعدًا للقوم الظالمين" فاللوحة الجميلة متناسقة، كل شجرة في مكانها، كل وردة كل لون في مكان، التناسق هو أساس الجمال[1].

[1] دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني بتصرف.

التناسق أساس الجمال، فلا يوجد لون قبيح إذا وضع كل لون في موضعه، كذلك لا يوجد مبنى قبيح إذا بني على أسس البناء النظرية الموضوعة له، وهذا هو أساس الأسلوبية والبنيوية Structuralism.

والنظم هو توخي معاني الألفاظ والكلام بترتيب في النطق بحسب ترتيب معانيه في النفس، فإذا قدمت الخبر على المبتدأ فلأنك مهتم به أكثر في نفسك، وإذا وجدت المعنى فإن اللفظ في يدك وهكذا المعادلة:

المعنى + اللفظ = التركيب.

نفسي + لغوي = الجملة.

مجموع الجمل = النص.

وهكذا لم تعر البنيوية عبد القاهر الجرجاني اهتمامًا، ولا طائل من تفريع التشبيه إلى عقلي مكاني..... إلخ.

ومثل بذلك:

"يعطيك من طرف اللسان حلاوة" أي كلامًا كمذاق العسل، وما هي العلاقة بين الكلام والعسل؟

ولا حاجة إلى التحديدات الاصطلاحية من عقلية ومكانية، فهذه التحديدات هي التي أفسدت البلاغة.

عندما تساءل شخص عن شجرة في القرآن: (طلعها كرؤوس الشياطين) وهل رأى أحد الشياطين؟ رد العالم: ليرسم كل شخص أقبح صورة عنده، فهي رؤوس الشياطين، والأصل أن يشبه المعنوي بالحسي.

حسب قواعدهم.

فالهدف في الأدب والبلاغة هو انطلاق الروح الإبداعية عند الفرد.

بالرجوع إلى دلائل الإعجاز لعبد القاهر.

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما أن رأينا لفتح ضريبا
هو المرء أبدت له الحادثا ... ت عزمًا وشكيا ورأيًا صليبًا
تنقل في خلقي سؤدد ... سماحًا مُرجى وبأسًا مهيبًا
فكالسيف إن جئته صارخًا ... وكالبحر إن جئته مستثيبًا

والجمال هنا أنه عرّف ونكّر، وقدّم وأخّر، وحذف وأضمر، وتوخى معاني النحو، فالبداية هو المرء أبدت له الحادثات (هو المرء) قصر أي [هو الرجل]، الرجولة محصورة فيه أو مقصورة عليه.

وهذه الحادثات بدلاً من أن تهكه وتضعفه زادته عزمًا وشيكًا ورأيًا صليبًا، كما قال نيتشه: (كل مالا يقتلني يزيدني قوة)، وفعاله الدائمة والدالة عليه تنقل بين خلقي السيادة والسماحة والعظمة والبأس، فهو دائمًا هكذا، وجملتان شرطيتان في الأمر كالسيف... جوابًا صارخًا منصوب كالبحر... جوابها مستثيبًا.

جاء في أمالي الزجاجي:[٢]

أنشدنا أبو الحسن الأخضر: أنشدنا ثعلب عن ابن الإعرابي لابن الدمينة:

قفي يا أمم القلب نقضي لُبانةً ونشكو الهوى ثم أفعلي ما بدا لكِ[٣]
ولو قلت طأ في النار أعلم أنه هدى منك أو مُدْنٍ لنا من وصالكِ
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هوى منك لي أو غيّةً من ضلالك
سلي السدرةَ الغنّاء بالأبطُح الذي به الماءُ هل حييت أطلال داركِ

وهل قمت بعد الرائحين عشية مقام أخي البغضاء واخترت ذلكِ
لهنك إمساكي بكفي على الحشا ورقراق عيني خشية من زيالك

---

٢ أمالي الزجاجي ت: عبد السلام هارون.

٣ تحقيق عبد السلام هارون لديوان ابن الدمينة، وتُقرأ (تحية) في رواية البحتري.

ومن أمثلته في دلائل الإعجاز:

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شمالك؟
أبيت كأني بين شقين من عصا حذار الردى أو خفية من زيالك
تعاللت كي أشجى وما بك علة تريدين قتلى قد ظفرت بذلك
أرى الناس يرجون الربيع وإنما ربيعي الذي أرجو رجاء وصالك
فيا بانة الوادي أثيبي متيمًا أخا سقم أنشبته في حبالك
أأذهب عضبابنًا وأرجع راضيًا وأقسم ما أرضيتنى بنوالك

دراسة الأبيات

الشاعر أن يكلم محبوبته على عادة الشعراء، وهو لا يرجو منها شيئًا سوى إلقاء التحية، وأن تسمع منه شكوى الهوى، ثم بعد ذلك أفعلي ما بدا لك.

فلو أمرته هذا المسكين أن يطأ النار تقربًا منها أو أن ذلك مدنيه منها لفعل، وهو لا يهتم إن كان هذا الأمر ضلالاً أو هدى منك، ما يفعله هو تقديم رجله نحو النار ليمشى عليها.

سلي البانة الغناء ذات الأفرع الكثيرة، وسوف يحكي كل فرع قصة من ألمي وعذابي، فهي كثيرة الفروع؛ لأن كل فرع فيه قصة العذاب، وهي تحكى ذلك عن طريق الغناء، فهذه البانة الكثيرة الفروع إذا هزتها الريح أحدثت صوتًا كالغناء.

أسمعها إذن تحكي قصة بؤسي باختياري أنا، ولابد أنك تمتعين بتعذبي، وهذا الغناء سيطربك، وهذا هو عمري.
إذن:

ليهنك إمساكي بكفي على الحشا ورقراق دمعي خشيه من زيالك

ليهنك لتهنئ إذن وأنا أبكي خشية أن تذهبي (ليهنك من الهناءة سهلت همزته) فها أنا أموت باكيًا مخافة أن تذهبي.

إذن احسمى الأمر (وأبيني أفي) الهمزة للاستفهام، (يمنى) في اليمين، في يمينك أنت بالذات، (يمنى يديك جعلتني) وهذه هي حياة المسكين وفرحه (فأفرح)، (أم صيرتني في شمالك) وهذا والعياذ بالله لن يحدث لأن عاقبته سخيمة، ولن أقول لك عاقبته بل اقرأ أنت القصيدة جيدًا وأستنتج العاقبة.

هذا حال العاشق وهذا شأنه، الناس يذهبون ويشترون ويبيعون، ويرجون الربيع، وأنما أنت ربيعي وإنما أنت رجائي الذي أرجو (رجاء وصالك).

الحقي المتيم قبل أن يموت.
أأذهب غضبانا وأرجع راضيًا؟ أي يذهب إلى النيل وترجعه عطشان.
همزة الاستفهام/ فعل مضارع < أذهب/ أرجع- غضبانًا/ راضيًا> حال على النصب = النهاية المفجعة أنه كما ذهب رجع، (وأقسم ما أرضيتني بنوالك) الخاتمة المفجعة.

المفتاح للسكاكي

ضبط مسائل علمي البديع والمعاني.
فقد قال عن علم المعاني: هو تتبع خواص تراكيب الكلام وما يتصل به من الاستحسان وغيره، ليحرز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره.

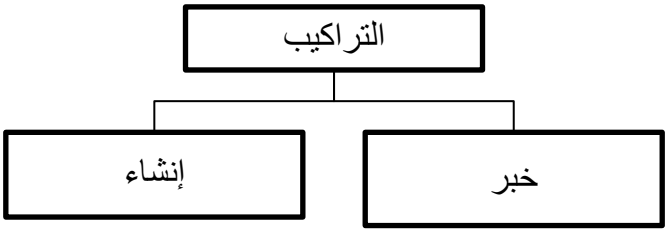

الأبواب:

١. إنشاء.

٢. أحوال المفهوم المحكوم به (المسند).

٣. أحوال المفهوم المحكوم عليه (المسند إليه).

٤. أحوال السند.

وهكذا تتوالى الأبواب.

تعريف علم البيان: معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة؛ بالزيادة في وضوح الدلالة؛ وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ.

تلخيص المفتاح

الإيضاح أقرب للروح الأدبية

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ ﴾ القصص: ٢٣

حذف المفعول وهي الأبقار والغنم لأنهم خارجون عن الغرض البلاغي، ولو ذُكِروا لكان الترحم على الغنم.
والمصدر والزمان والمكان إسناده للفاعل إذا كان مبيناً له وإسناده إلى غيرهما لمضاهاته علاقة الفعل المجاز كقوله (عيشة رضية) وفي عكسه (سيل العرم). إسناد الفعل لمعناه وهو ملابس لغيره (فما ربحت تجارتهم)، (وهن العظم) ليس كله، ولذلك لم يقل وهنت العظام.
(صبغة الله) مصدر مؤكد لقوله آمنا بالله، والمعنى تطهير الله.

الطراز للعلوي

يجمع بين الصفة البلاغية والأدبية ويتكلم عن البلاغة والإعجاز على طريقة السكاكي المنطقية في تعقيد البلاغة، والجزء الثاني في الإعجاز يتناول الاستدراك، التنبيه..... إلخ
المثل السائر: مسائل في ثقافة الأديب، والالتفات في قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يس: ٢٢
وفي قصة أم موسى قوله تعالى (ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون) الدين الحق الذي أتى في بداية السورة.

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ القصص: ٥

الإنصاف في الحجاج والمجادلة (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)..... الآيات، يقول هذا وهو يعرف أنه نبي صادق، وذلك من الإنصاف فهو ليس متعصبًا له (يُصِبْكم بعض الذي يعدكم)، وكذلك الأدب في محاورة إبراهيم لأبيه واستعمال المجاملة (يا أبتي) يا أبي، فلم يدّعِ العلم الفائق وسمى أباه أبا جهل، بل قال معي طائفة من العلم، افرض أننا مشينا في طريق وأنا أعرف طريق الهدى، أأتركك تهلك في البيداء؟ فاتبعني إذن أهدكَ صؤاطًا سويا.

وقد تابع المفتاح للسكاكي في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، ثم مهد بقاعدة بين فيها مسائل هذا العلم، كالدلالة الوضعية في إطلاق لفظ البيت على السقف، والانتقال من معنى لآخر بسبب علاقة ما عقلية.

وأن علم البيان مراجعة اعتبار الملازمات بين المعاني، ولزم تصور العلاقة عقليًا كأمام وخلف.

طول النجاد = طول القامة.

كثير الرماد = كريم.

نؤوم الضحى = منعمة.

جبان الكلب = كريم.

وبحكم الاعتقاد فقد ظهر لك أن رجع علم البيان اعتبارًا لهاتين الجهتين:

جهة الانتقال من ملزوم إلى لازم = المجاز.

جهة الانتقال من لازم إلى ملازم = الكناية.

ودراسته كانت مرحلية، فالأولى: كانت جهودًا نظرية مرتبطة بالنص الأدبي، والثانية تطبيقية، والثالثة: تطبيقية نظرية.

مثال الالتفاف في سورة الفاتحة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الله: علم على ذات الرب.

الرحمن: ذو رحمة واسعة.

الرحيم: ذو الرحمة الواصلة.

الحمد لله: حمدني عبدي، والضمير غائب.

رب العالمين: من هو الله، هو رب العالمين الجن والإنس والحيوان..... إلخ.

الرحمن الرحيم: يقول الرب حمدني عبدي في الحديث.
ويلاحظ أن الضمير هنا أيضًا ضمير غائب، الصحيح هو عائد على الله ذات الرب، المعبود الإله من له تولهت، ووله الفصيل بأنه التزامها حبًا، وهو الذي يختار الخلق في أقداره وصفاته.
مالك يوم الدين: يقول الرب مجدني عبدي.
ولا أحد يستطيع أن يدعي ملكًا لذلك اليوم إلا الديان.
إياك نعبد وإياك نستعين: هذا لعبدي،
في إياك نعبد وإياك نستعين حصل الالتفات، وتغير الضمير إلى حاضر لأنك أصبحت في الحضرة الإلهية.

الإعجاز عند السيوطي

شروط المعجزة:

١- أن تكون كفلق البحر وإحياء الموتى ولا يقدر البشر على مثلها. ٢- خرق العادة. ٣- نفع على وفق دعوى المتحدى. ٤- لا يأتون بمثله.

خرافة الصرفة

ومعجزة إسماع القرآن في قصة إسلام عمر بن الخطاب، وكفر الوليد بن المغيرة يثبت في الحالتين أن النص القرآني هو الحجة والبيان، والقول بالصرفة قول تافه من أساطير المعتزلة، والرد في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦

فهذا هو الفيصل، كلام الله وليس الصرفة.

(الصدفة) هي قول المعتزلة الفرقة الضالة في الإعجاز، وأن الناس كانوا يستطيعون الإتيان بمثل القرآن، ولكن الله صرفهم عن ذلك، وهو قول باطل يلحق به القول بخلق القرآن.

* * *

الإعجاز القرآني

عند ابن القيم الجوزية

لا شك أن العلم باللغة والشعر والبيان هو نواة معرفة العلم بالشريعة، وقد اختلط الدرس اللغوي بالدرس الديني، ولذلك درسها الشافعي أولاً ثم كتب أصول الفقه في رسالته.

وقال مالك إمام الهجر:

لا أوتى برجل يفسر القرآن لا يعلم لغة العرب إلا جعلته نكالاً.

قال الشافعي:

لا بشر يستطيع أن يحيط بالعربية، فاللغة العربية لا يحيط بها إلا الله.

الإعجاز في اللغة: لذلك درس (المعتزلة) اللغة ليدسّوا السم في العسل، وتوصلت جهودهم الباطلة للقاموس - التأويل التعريفي - الأعجاز والتحدي - والصدفة..... إلخ.

فترى ابن القيم يكتب (أعلام الموقعين)، وهو كتاب في أصول الفقه، وفيه الأمثال في القرآن، وهو بحث بلاغي عظيم، قصد به أن يثبت أن الشريعة قياسية، وأن القياس هو المصدر الرابع للشريعة.

ومن مؤلفات ابن القيم اللغوية:
بدائع الفوائد.
التبيان في أقسام القرآن.
أعلام الموقعين.
الفوائد.
والتبيان (لم أجده إلا في مكتبة الإسكندرية)

بسم الله الرحمن الرحيم

اختصار ودراسة

علم الاشتقاق

نظريًا وتطبيقًا

د. محمد حسن حسن جبل

مكتبة الأدب

الباب الأول

الاشتقاق هو بيان الارتباط بين معنى لفظين لاشتقاق اختصاص من الأول، والأصل هو الكلمة المشتق منها، وهو جذر معين أصل القبل القطع والقبولة للعباد.

(الذين هم على صلاتهم دائمون) والإقامة التعديل، سمك ارتفع، والسمك يرتفع لا يسقط في البحر.

الاشتقاق الجزئي

الزهد من الأرض الزهاد: الأرض المرتفعة، وأطراد الاشتقاق كـ (سمو) يسمو سماء: ارتفاع.

التفرع الاشتقاقي

ويقصد به أن يصير بعض استعمالاته رأسًا متميزًا، ومن أمثلته (نبأ)، فقوله تعالى: (لكل نبأ مستقر) (عن النبأ العظيم)، وهو الإخبار بما شأنه أن يخفى ولا يتوقع معرفته، (بين)، والمبين هو الذي أظهر طريق الهدى من الضلال، والبان شجر يطول ويظهر في السماء، ومن قوله (خلق الإنسان علمه البيان) أي يقدر حجم الشيء (فظن أن لن نقدر عليه) نحد سلوكه، ومن (قدر عليه رزقه) حدده عليه وجعله قليلا.

نظرية ابن جني للاشتقاق أنه اتفاق مجموعة كلمات في حرفين واختلاف واحد، فمثلاً قوله الخفة والحركة (ك ل م) القوة والشدة (ق س و) قوة واجتماع، (س ل م) الاصطحاب والملازمة (ل ق و) اللين والحلاوة.

والاشتقاق هو الوسيلة الوحيدة في استحداث الألفاظ.

الباب الثاني

علم الاشتقاق والصرف

تكمن عبقرية اللغة العربية في علم الاشتقاق، حيث تنتمي كل كلمة إلى عائلة، أما اللغات الأجنبية فهي لغات إلصاقية كلما احتاجوا كلمة ألصقوها في آخرها، حتى تصبح الكلمة سطراً أو نصف سطر، بينما إذا زادت الكلمة العربية عن حد ما يبدأ العرب في حذف حروف ولو كانت من بنية الكلمة الأصلية (الاشتقاق المحوري).

- وهو عكس الجزئي يربط كل استعمالات التراكيب ببعضها البعض.
- المعاجم الأجنبية والأوربية فيها كلمات قليلة، وهي تستخدم في الرياضيات غير الطب غير الاستعمالات الأخرى، وذلك لنصوب كلماتها، فمثلاً Fucltcm في الطب هي وظيفة العضو، وفي الرياضيات.

ς دالة ϕ Fucticn ς = ϕ

وفي الاستخدامات العادية تعبر عن العلاقة، وهى نفس الكلمة، وذلك لفقر اللغات الأخرى وغنى العربية في أصولها ثم الاشتقاق.

من فوائد الاشتقاق:

والاشتقاق يكشف عن المعاني الغامضة، ففي الروسية مثلاً نجد أنه الحروف الأوربية لا تدل على نفسها في الروسية، مع وجود جنس متعادل Nutral تجد صعوبة في وجود استعارات في المجالات الأدبية، والاشتقاق يحسم الخلاف.

إن الألفاظ لها تأثير كبير في فهم وإدرك الإعجاز، وكثير من الفرق نشأت نتيجة اللغط في المصطلح.[٤]

أزّ: من أزيز المرجل، (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزًا) قال ابن عباس: تغويهم إغواء وتحرضهم إزعاجًا للمعاصي.

أمّة (إن إبراهيم كان أمّة) القوة التي ؤتم بها، معلم الخير.

بتل: انقطع، والبتول المنقطعة للعبادة (وتبتل إليه تبتيلا).

بحر - مجاهد - كل قرية على بحر حار، وابن القيم: البحر الحلو والمالح، الأدلة: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)** وقوله تعالى (هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج).

[٤] قاموس ابن القيم- المفردات.

ترب: في قوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) من اللذة، وقال أبو عبيد وأبو إسحاق: أتراب أسنانهن من واحدة نبات م م .

تربية العالم الرباني الذي يعلو قدره المعلم لغير.

حر وحرر من شدة البرد، ويوحي الصوت بذلك، والبرد خلاف الحر، قال الحماس وهو عروة بن أذينة شيخ ثقات العلماء:

إذا وجدت لهيب الحب في كبدي أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تتقد؟ [٥]

وفي الحديث:

اللهم طهرني بماء [الثلج والبرد].

قال ابن تيمية: أقوى في التبرد من الماء الطاهر النازل من السماء.

بكى: يفرق ابن القيم بين بكاء وبكا، وقال الشاعر:

بكت عيني وحق لها بكاها وما يغنى البكاء ولا العويل

فالبكا بلا صوت، والثاني له صوت:

---

[٥] ابن القيم اللغوي للبقري.

التلاوة: الاتباع، تلو فلان قفوته، وقصصته تبعت خلفه، ومنه (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) وتالي الكلام لأنه يتبع بعض الحروف بعضها، ومنه (إن الذين يتلون كتاب الله)، و(اتل ما أوحى إليك من الكتاب) تلاوة المعنى واتباعه تصديقا بخبره وائتمارًا بأمره وانتهاء بنهيه، والتبيع ولد البقرة: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ).

الجار: الشريك، قال الأعشى:

أجارتنا بيني فإنك طالق

وفي القرآن:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦

الحجة: البينة، الأدلة العلمية يعقلها القلب وتسمعها الأذن، (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم)

(فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله).

بين ابن القيم والجرجاني

ولقد أفاد ابن القيم من عبد القاهر الجرجاني كثيرًا، ومن ذلك أن اللفظ المفرد ليس بشيء قبل التركيب، وما ذهب إليه الجرجاني وابن القيم هو ما يقرره علماء اللغة من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات Systeme des rapports، يقول المفكر الألماني فونت: إن لدينا عن طريق تجاربنا المباشرة صورة ذهنية لكل شيء وحدث، وإنما نضع الألفاظ لنحرك هذه الصور الذهنية الكامنة تحريكًا لا نريده لذاته، وإنما نعتزم أن نخبر بشيء نريده، وكيفية وقت التكلم كما يقول ابن القيم، وذلك بالإسناد إليه في جملة اسمية (كتاب مفيد) أو جملة فعلية (قرأت كتابًا مفيدًا) أو إشارة (هذا كتاب مفيد) أو نحو ذلك اعتبارًا.

يقول الجرجاني: وإذا قد ثبت أن الخبر وسائر معاني الكلام معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها فكره.. فاعلم أن الفائدة في العلم بها واقعة من المنشئ صادرة عن القاصد إليها.

وقد علق ابن القيم أهمية كبيرة على مراد المتكلم، وأن كل متكلم أعلم بمراده، وذلك عناية بالقرآن ودرسه.

وكم من مسألة ظاهرها جميل وباطنها مكر وخداع، فالغبي ينظر إلى ظاهرها ويقضي بجوازه، وذو البصيرة يتفقد مقاصدها.

الأمور بمقاصدها

يقول ابن القيم [قاعدة شرعية] في هذا الصدد: إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفًا ودلالة على ما في أنفسهم، فإذا أراد أحدهم شيئًا عرفه بمراده في نفسه بلفظه، ورتب على هذه المقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، فلا بد للحكم من قصد ودلالة أو نية وعمل، فإذا اجتمعا تم، ولهذا ألغى الشارع الألفاظ التي لم يقصد المتكلم معانيها، فإذا قيل لأحدهم املأ هذه الجرة فملأها ثم تركها على الحوض وقال لم تقل لي اتني بها.

ولهذا لا تسمى الرشوة هدية، أو الزنا زواجًا.

(وكلم الله موسى تكليمًا) مصدر منونًا، للدلالة على إرادة كلام الله، وكل الفرق الباطنية والباطلة ظاهرها حسن، ولقد أحسن القائل:

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت تقل قيء الزنابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما فالحق قد يعتريه سوء تعبير

أمالي الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون

قصة النحو وتفاضل العلماء

قال الزجاجي في أماليه بسنده لأبي الأسود الدؤلي قال: دخلت على علي بن أبي طالب متفكرًا في انتشار اللحن، فألقى إليّ بصحيفة: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام اسم وفعل وحرف... والأسماء ظاهر ومضمر، وما ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر.

من الموازنات والبلاغة في أمالي الزجاجي

أخبرنا الأخفش: كنت عند ثعلب فقمت مسرعًا للمبرد، فقال: ما أراك تصبر عن مجلسه، فقلت: أراه يقدم البحتري على أبي تمام، فقل له ما معنى قوله:

أآلفة النحيب كم افتراق أطل فكان داعية اجتماع

فقال المبرد: يتظاهران بالفراق فإذا أحساه تراجعا فيه.

متعا بالفراق يوم الفراق مستجيرين بالبكا والعناق
كم أسرّا هواهما حذر الناس وكم كتما غليل اشتياق
كيف أدعو على الفراق بحتف وغداة الفراق كان التلاقي

فقال ثعلب مخطّئًا المبرد: إنما معناه مفارقة الإنسان لمحبوبه ليغنم، فلا يرجع للسفر مرة ثانية أبدًا.

اقتراح لتجديد البلاغة بعد التجمد عند السكاكي

اعتماد الأسلوبية كطريقة لتطوير البلاغة؛ لأنها انبثقت في حضن كلام الجرجاني، ولكنها وقعت فيما وقعت فيه البلاغة، فقد وقعت البلاغة في براثن النقد الأرسطي وقواعد متجمدة، في حين تفتقر الأسلوبية للمعايرة، وأصبحت إحصائيات أقرب للرياضيات، لذلك لا بد من الرجوع للعمل الأدبي، فعدد اللون الأحمر أو الأزرق أو البحر وهكذا، لا بد أن تنظر ما أثر ذلك في العمل نفسه الشعري أو النثري.

نظرية علم النص تنص على:

١. أنه لا بد للنص أن يكون له هدف، والقرآن هدفه هداية الناس.
٢. تنص نظرية موت المؤلف ضمن نظرية علم النص وهي رد فعل النقد الاجتماعي، شكل المؤلف وطبقته وبيئته وموقفه الاجتماعي البرجوازي.... إلخ.

ثم اتبعته نظرية موت القارئ؛ لأن هذا القارئ لا يملك الأدوات العلمية حتى يقرأ النص قراءة ثانية، وهذا يؤدي للمعادلة التالية:

موت المؤلف + موت القارئ = موت النص.

وحسب نظرية علم النص سيقرأ الإخوة الشيعة والمعتزلة والصوفية – الفرق الضالة – القرآن فيجعلونه كتابًا للضلالة.
(يضل به من يشاء ويهدي به من يشاء).
لذلك يجب الحذر من كل من دريدا وناعوم تشومسكي اليهوديين، ولا بد من استبعاد التفكيكية لأنها الضياع بعينه (وقد حضرنا له ثلاثة أيام محاضرات في المجلس الأعلى للثقافة ولم أفهم شيئًا).

أو هي ككل الفكر من بعد الحداثي أسلوب بحث عن شيء غير موجود، بعد فشل التداولية في إيجاد لغة واحدة للعالم، والأولى للعالم التداولية، والتي تقول إن اللغة سلعة يملكها المجتمع، وقد يكون هذا في اللغات غير الدينية، أما اللغات الدينية كالعربية فلا، فكل من ديدرا وناعوم مهرجان.

إن الفلسفة الأرسطيه والفكر الغربي هما الضياع الذي أهداه لنا الغرب، هذا قول ت. س. إليوت.

* * *

التصوير الفني في القرآن

(يوم ترجف الأرض والجبال) ها هي ذي صورة للهول تتجاوز الإنسان نفسه إلى الطبيعة كلها والإنسان من جملتها، فلنتأمل صورة ذلك الهول، ترتجف الأرض والطبيعة كلها، وذلك طبعًا بعد إقامة الحجة، (إنا أرسلنا إليكم شاهدًا عليكم...) الآية، ولكنكم تفخرون بالقوة، فأين فرعون وقوته، ولما عصى فرعون الرسول أخذه الله أخذًا وبيلا، (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم)، خزيهم أمام ربهم محضرين، وتنويع آخر في صور القيامة، (ونفخ في الصور...) الآية، (واشتعل الرأس شيبًا) (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا)، تخيل الحركة السريعة في اشتعال الرأس ليس نارًا بل شيبًا، (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) لم يبق شبر من الأرض ليس فيه عين، التصوير الفني يتم فيه تصوير الصورة الحسية عن معنى ذهني، كالحالة النفسية والطبيعة البشرية، ومع أنه كتاب عقيدة وتربية، ولكنه كتاب تحس فيه منتهى الجمال في الطبيعة وغيرها، تشهى لها النفس وتستجيب لها في فرحة وانطلاق.

فالشمس والقمر آيتان من آيات الله، وكذلك جمال الطبيعية... إلخ، ولكن الألفة أفسدت كل ذلك، ولكن القرآن يوقظ النفس بشدة للشعور بالجمال في هذا العالم، فالنفس المتبلدة لا خير فيها، والقرآن يحاول إيقاظ هذه النفس المتبلدة لتتجاوب تجاوبًا حيًا مع الأشياء والأحياء، وصورة الجمال والكمال في القرآن، فأدوات القرآن الأسلوب في إيحاء ظواهر الطبيعة، والحوار، إن هذا القرآن عظيم.

عندما جاء البني نفسه صلى الله عليه وسلم وقال: يا خديجة إني خشيت على نفسي، قالت: لا إنك لتصل الرحم وتعين على نوائب الدهر.

وسورة العلق أول بيان من السماء، نسق متسق ترتبط فواصله في تناسق داخلي عجيب، وكلام الكهنة لا رابط بينه، ومناسب فيها البدء بالإقراء باسم الله، والله رب التربية، هذه هي الدعوة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وناسب بدء الدعوة بدء الخلق، الذي (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) ومن هذه العلقة الصغيرة خلق الإنسان الكامل ليتعلم ويعلم قوله (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) وكان على الإنسان أن يعترف بهذا الفضل، ولكن كالعادة نجد أن الإنسان لربه لكنود.

(كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)، فلما خلق الإنسان وصار رجلاً يمشي بين برديه، إذا به يخاصم خالقه بدلاً من الخضوع والذل له، (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) لقد طغى الإنسان لما رأى تلك النعم، وتعدى بهذا الطغيان لغيره، (إن إلى ربك الرجعى) سترد إذن إلى ربك الذي خلقك، فإذا بك أيها الإنسان الطاغي تنهى غيرك عن العبادة (أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى) لِمَ تنهاه وهو متقٍ الله وهو على الهدى، وتكرار "أرأيت" تعطي سؤالا استنكاريًا وجوابه نعم رأيت (أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى) فالتهديد واضح شديد لهذا الطاغي المتعدي بالطغيان على غيره.

(ألم يعلم بأن الله يرى)، من وراء كل هذا (كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية) المبتكرة لنسفعًا سفعًا شديدًا (ناصية كاذبة خاطئة) وليخطر لهذا المسكين أن يدعو من يعتز بهم من ناديه الخاص من أهل مجلسه، أما نحن فسندع الزبانية، وتركك تتصور هذه المعركة ولمن سيكون النصر، (كلا لا تطعه واسجد واقترب) وهي نهاية قوية في تناسق قوي عظيم متناسق، والاستعارة في النفس الإنسانية طبيعية.

مميزات ومجال التصوير في القرآن

١. إحياء المعاني الذهنية وجعلها شخوصًا تموج بالحركة.
٢. إحياء المناظر الكونية المتكررة وجعلها مدهشة من جديد.
٣. مشاهد الطبيعة.
٤. القصص القرآني والحوارات، وسنتكلم عن كل عنصر باستفاضة.

أ- الأفكار الذهنية والحالات النفسية وإظهارها في صورة غنية متحركة كأنك تراها فيكون هذا أوقع في النفس:

ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط)، كيف يتم ذلك، واستخدم الجمل للحبل السميك له دلالة.

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ إبراهيم: ١٨

تصوير الريح في يوم عاصف، ماذا سوف تحمل في الرماد، هل يقدر أحد على مسكه؟

سوف يذهب هباء..... ويمثل للمرء الذي ينفق ويتبع ذلك بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا لا يقدرون على شيء.

الإعجاز عند ابن القيم

الوصل والفصل

أذا كانت الجملة من غير مبتدأ فلا بد من رابط، مثاله: (ولباس التقوى ذلك خير) والمسوغات معه، كما أن الجملة الشرطية لا بد من الارتباط بين جزئيها: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، (ولا أنا عابد ما عبدتم) فيها رائحة الشرط، لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فإذا أنتفى اللازم انتفى ملزومه، (إن كنت قلته) في الماضي (فقد علمته) مستقبلا، (فمن اتبع هداي فلا يضل) الإيجاز في حذف جواب الشرط إن كنتم تعبدون) فهذا يستلزم شكره.

(إنك لميت وإنهم ميتون) اسمه ثابتة.

شرط منع المنع (فأنا أول العابدين).

العطف (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا....) وجوب الترتيب للشافعي وأحمد، (قل أعوذ برب الناس. ملك الناس) للمغايرة نقضى عدم العطف الدال والمدلول.

أكثر الألفاظ تدل على معنيين، والاختلاف تنوع لاتصال، مثاله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى عسق الليل) الألفاظ المشتركة والمتواطئة.

رسالة البلاغة للمبرد في الكامل

إجابة المبرد عن سؤال فأجاب:

حق البلاغة إحاطة القول بالمعنى واختيار الكلام وحسن النظم، حتى تكون الكلمة مقاربة لأختها ومعاضدة شكلها، أن يقرب البعيد ويحذف منها الفضول، فإذا استوى في ذلك النثر والشعر فالشعر أحسن للوزن والقافية، وعيب على طرفة من العبد قوله:

أسد غيل فإذا ما شربوا وهبوا كل أمون وطمر
ثم راحوا عبق المسك بهم يلحقون الأرض هداب الأور

أين هذا من قول عنترة:

فإذا شربت فأنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عند ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقال طرفة بن العبد في الخمر ما لم يقله مالك::.

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عُنيت فلم أكسل ولم أتبلد
وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد
فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عوّدي
فمنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزبد
ذريني أروى هامتي في حياتها مخافة شرب في الحياة مصرد
كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غدًا أينا الصدى
أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى حثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العيش كنزا ناقصًا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

الرمَل (فعلاتن) لأبي العلاء المعري:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نواح بكاء أو ترنم شادي
صاح هذى قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحكًا من تزاحم الأضداد
سر إن اسطعت في الهواء رويدًا لا اختيالا على رفات العباد

بالرجوع لبلاغة المبرد

بين الفقد والوجد

قال قائل للربيع بين خثيم عندما رأى اجتهاده وإغراقه وانهماكه في الصوم والصلاة وسائر الخير: قتلت نفسك. قال: راحتها أطلب. ومعروف حديث أبي الدرداء وسلمان الفارسي لما ابتذلت زوجته، فقال لسلمان: خير منك. لأنه قال له: إن لبدنك عليك حقًا، ولزوجك عليك ولربك عليك حق، فأعط كل ذي حق حقه، وغيره في الصحيح كثير في ابن حبان وغيره.

قال أحد الشعراء:

سأطلب بُعد الدار منكم لتقربوا وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

يقول أغترب فأسكب ما يطول به مقامي معكم.

الإعجاز عند محمد الطاهر بن عاشور

تحداهم بقوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ البقرة: ٢٣

يعجز الجميع لبلوغ القرآن في درجات البلاغة ما تعجز عنه بلغاء العرب، من حيث النظم والبيان إلخ، من مراعاة التجنيس ومنه: (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)

والمطابقة: (فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير)، والتشبيه: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) والاحتراز (وأنهار من عسل مصفى).

إن نظم القرآن مبني على وفرة الأدلة وتعدد الإفادة، ومنها الإطناب في قوله تعالى

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الجاثية: ٢٢

دفع التقديم والتأخير: (إن جهنم كانت مرصادا لِّلطَّاغِينَ مَآبًا) الآيات.

يقول الأصهفاني عن الرازي: فصاحة الألفاظ وشرف المعاني والنظم هو سبب الإعجاز.

مبتكرات القرآن: القرآن كلام خالق البرية منه بدأ بلا كيفية.

الشيخ السهيلي شيخ ابن القيم
ينقل عن كثير في البلاغة

البلاغة:

ضرب مثلاً في الصياد يطارد فريسته، قال أبو تمام:

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذلك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد
طال إنكاري البياض وإن عمرت شيئًا أنكرت لون السواد

وقد بدأ بالجملة الفعلية (شاب الرأس) وهى أم المعاني (وما رأيت شيب الرأس) جملة حالية شغلت بقية البيت والذي هو من بحر الخفيف (فاعلاتن) وهذا تحليل الماضي الأول.

إذا طلعت شمس النهار فإنها إمارة تسليمي عليكم فسلموا

وهو من الشعر الجاهلي ذكره محمود شاكر في مداخله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ ﴾ البقرة: ٢٦٤

فتخيلوا معي هيئة الحجر الصلب المستوي وقد غطته طبقة خفيفة من التراب فظن الإنسان فيه الخصوبة، فإذا بوابل من المطر يصيبه فأزال الطبقة الخفيفة من التراب وظهرت الحقيقة: حجرًا صلبًا لا خصب فيه ولا نماء، ثم أتبعه بالضد لتظهر الأشياء (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل)، وهذا هو الوجه المقابل للصورة السابقة، فهذه الصدقات التي تنفق في مرضاة الله مثل المطر الوابل المتصل ديمه، وهذه الجنة فوق ربوة، وهذا آخر ما توصل إليه علم الزراعة أن الأرض العالية يصيبها وابل كثير،

فتكون ثمارها أكثر، وتؤتي أكلها مرتين، وإن لم يصبها هذا الوابل فالطل يكفيها.

انظر وقارن بين الحالتين.

(له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) فالكفار كهذا الرجل الأحمق الذي يمد يده إلى ماء في بئر أن اطلع أيها الماء، وكذلك الذين يدعون الآلهة المصنوعة من الأحجار آنى تستجيب لهم.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ البقرة: ١٧١

إذا ناديت الحيوان لا يفهم نداءك، لا يسمع إلا صوتًا غريبًا، كالكفار يدعون أحجارًا أنى يستجاب لهم؟ (والذي يشرك بالله فكأنما فر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) هكذا في ومضة عين يخر من السماء فلا يستقر لحظة، تخطفه الطير وتنهشه في حال سقوطه، أو يهوي في مكان سحيق غامض.

لا شك أن الله خالق الإنسان، فكيف أذا غضب هذا الخالق على القطرة والتي صنعها بيده، فهو إليه، ينتهي إلى ربه الذي خلقه وأسجد له وملائكته. انظر أنت إلى إهمال الرب لهؤلاء الكفرة: (إن الذين يشترون بعهد الله ثمنًا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة).

فما بالك عن حالتهم النفسية وتصورك لها حين يقول لهم الذي خلقهم ونفخ فيهم من روحه (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ)، وفي هذا العذاب النفسي ما هو أكبر من العذاب المادي بعد أن خلقهم في أحسن صورة فأذابهم وقود النار، فهذا الإهمال بعدم النظر والكلام هو العذاب الأليم، والذي هو أكبر من العذاب المادي، والذي هو لا بد واقع بهم.

﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ الأنعام: ٧١

هذا مخلوق تعيس استهوته الشياطين وأصحاب السوء يدعونه، ومن الجانب الآخر أخوة الإيمان وهو حيران بين هؤلاء وهؤلاء متهتك القلب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦

في الصورة تحقير وتقدير لهذا الإنسان، آتاه أعظم شيء في الكون ألا وهي آيات الله، ولكنه أخلد للأرض كأن في الأرض خلودًا، وهذه الكلمة في حد ذاتها تدل على غبائه، فكل حي مصيره الموت، هو يريد أن يخلد للأرض، ولماذا اللام، كأن هذه المسرات القليلة الفانية شدته إليها فالتزمها وحسبها خالدة،

وكان يستطيع أن يعلو بها بأتبعها فيرتفع بها عن هذه السفاسف.

وكلمة انسلخ هذه تدل على صعوبة هذا الأمر ومعاناته في ذلك، وذلك باتباع الهوى، فهوى كأنه كلب إن تحمل عليه وتأمره يلهث أو تتركه يلهث، فكأن التكاليف بافعل ولا تفعل لا تؤثر فيه فهو دائمًا قذر يلهث وراء القاذورات والمزابل، وهذه هي الدنيا الذي خلد إليها وهي بغبائه إلى زوال، والصورة الفنية هي التي حركت المعنى المراد، وهو غباء الذي ترك الدين للدنيا.

ويريد أن يوضح حالة تزعزع العقيدة حيث لا يستقر الإنسان على يقين ولا يحتمل الشدائد: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة).

وإن الخيال ليكاد يجسم هذا الحرف - رأس جبل مثلا - والاضطراب في نفس هذا الرجل فهو يتأرجح فتنطبع في نفسه وحسه.

والمثال الأتي يتشابه في الصورة مع السابق:

فقد كان الأوس والخزرج في نزاع مستمر وقتال، وكان اليهود يؤججون هذا الصراع، فقال لهم تعالى مذكرًا بما كانوا عليه قبل الإسلام:

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾

آل عمران: ١٠٣

كنتم على شفا حفرة من النار موشكين أن تزل أقدام فتقعون فيها وتحترقون وتهوون في الهلاك، ولكن أصبحتم في نعمة من الله وبنعمته صرتم إخوانًا، وهذا إعجاز آخر، إذ إن طبيعة العرب الحرب والشقاق والاقتتال فيما بينهم، وكانت بينهم وقائع كثيرة ومستمرة (لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم).

وهذه الصورة القلقة المتحركة تقيم هذه الأشياء المعنوية في الخيال وتحركها، إنسان يتحرك على شفا حفرة من النار يوشك أن يقع فيها، وعلى هذا المنوال جاءت هذه الصورة لمن يقيم بنيانه على غير التقوى: (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هارٍ فانهار به في نار جهنم)، فانهارت به الحياة فهوى في نار جهنم.

كما يريد أن يشخص حالة العناد السخيف والمكابرة العمياء التي لا يجدي معها حجة ولا برهان، فيبرز نموذجًا إنسانيًا في هذه الكلمات: (ولو فتحنا عليهم بابًا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) (ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين).

ويريد أن يبين أن الإنسان لا يعرف ربه إلا في ساعة الضيق، وإذا جاءه الفرج نسي الله الذي فرج عنه، ولكنه يرسم ذلك في صورة متحركة حافلة بالحركة، فيقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من سورة يونس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يونس: ٢٢

وهكذا تحيا الصورة وتتحرك وتموج وتضطرب فتظهر في أبلغ بيان وأطهره.

وعندما يريد أن يبرز نموذجًا من الناس ظاهرهم يغري وباطنهم يؤذي فيرسم لهم الصورة الآتية: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)، فهذا ألد الخصام، قد أعماه الحقد والكراهية عن رؤية أي شيء من الغير، فهو يعيش للإفساد، وهذا هو منتهى سعيه، فهو يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، فكل شيء مباح له في هذه الخصومة، ولكن الله له بالمرصاد،

لهذا الإنسان الذي تحول إلى شيطان يحركه الخصام واللدادة فيه والحقد والكراهية (والله لا يحب الفساد) فيحذر منه، فقد يكون كالثعبان جميل الملمس ويبدو لك أنه صادق القول ويشهد الله على ما في قلبه من الخير، وهو يسعى في الشر والإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

وهذا المنافق يُشهد الله على ما في قلبه، والله لا يرى في قلبه إلا حب الفساد وقد أشرب فيه، وهكذا نرى صورة الحقد والخصام متحركة فتكرهه النفس.

- وفريق آخر ضعيف العقيدة لا يتبين ضعفه إلا إذا جد الجد فانظر إليهم: (ويقول الذين كفروا لو لا أنزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) وهذا المنظر المغشي عليه كله تحقير وسخرية.

النماذج البشرية المتكررة وإحياؤها كأنك تراها

وقد يبرز هذا النموذج حادثة مروية فيتجاوز الحادثة الخاصة ويخلدها نموذجًا عامًا يتكرر خلال البشرية.

ولذلك لا تذكر كثيرًا الأسماء في القرآن ولا أماكن القصص والأحداث، لأنها نماذج متكررة في حياة البشرية ومنها مثلا: (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملِكًا نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرِجنا من ديارنا وأبنائنا، فلما كتِب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم) وفي هذا المثال يمثلون الشجاعة وقت السلم ثم الجبن في القتال.

مشاهد الطبيعة في القرآن

إن احتفال القرآن بالطبيعة أمر بارز يلفت النظر لأروع ألوان الجمال التي تؤثر في النفس، فتنزع للخير، والدهشة المؤثرة، ولو استطاع الإنسان كل شيء كأنما يحدث لأول مرة والإنسان يعيش في القرآن مع الكون في مصداقية كاملة ولقاء حبيب مع الكائنات يلذ النفس ويطلق الروح نشيطة تسبح لله.

والقرآن في ذاته كتاب جميل ممتع لا ينتهي منه قارئه حتى يحب أن يحول إليه من جديد، فلقاؤه متجدد في صداقة مع الكون لا نفور منه، ونأخذ بعض الأمثلة.

(إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون، فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم، وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

الأنعام: ٩٩

مثل من أمثلة كثيرة في القرآن توجيه القلب البشري إلى آيات الله في الكون الله، فالق الحب والنوى، وفالق الإصباح، ومخرج الحي من الميت، خالق الليل والنهار متتابعين، يغشي الليل النهار، والليل إذا عسس والصبح إذا تنفس، كل هذه الكائنات الموجودة في الكون وهذا الجمال لخدمة الإنسان فقط.

خلق له الشمس تمده بالدفء والقمر يؤته بالليل رب المشرقين والمغربين، مشرق القمر ومشرق الشمس ومغربهما، ثم من الإعجاز العلمي الذي لم يعرفه العالم إلا في هذا العصر: رب المشارق والمغارب، فهي إذن مشارق، كلما غابت الشمس عن جزء من هذا الكون أشرقت في الجزء التالي، فهي في غروبها شروق وفي شروقها غروب.

ما هذا الإعجاز؟ إنه (رب المشارق والمغارب)، ولكن لألفه الإنسان أصبح شيئًا عاديًا، ولكن القرآن ينشئ إياه مرة أخرى كأنك تراه، فآيات الكون حية في آيات القرآن، والآيات القرآنية تراها تمشي على الأرض، لا يترك التعبير شيئًا جامدًا لا يتحرك ولا تدب فيه الحياة على هذا النحو المدهش.

الحدائق ذات البهجة.

حدائق تبعث البهجة من ذاتها.

أعناب - نخيل - زيتون.

انظروا إلى ينعه.

إنه حشد هائل من الطبيعة.

وقدرة الله فوق كل شيء، فهو خالق كل هذه الأشياء، والآيات ثبت فيها الحياة عن طريق الكلمات المجردة عن طريق الريشة والألوان، والحركة الحية هي الظاهرة الملموسة، فهذه هي قدرة القادر ظاهرة للعيان.

وهناك مثل آخر يستخدم أداة أخرى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ فاطر: ٢٧

ترى في اللوحة نباتًا مختلفًا ألوانه، جبال منها الحمراء والبيضاء والسوداء، تتناثر متبعثرة في اللوحة، تناثرها في الطبيعة دليل على طلاقة القدرة، فهذا التنوع دليل على ذلك.

البلاغة وآيات القرآن

(إعجاز القرآن)

عند أهل السنة والجماعة

الجزء الثاني

التصوير البياني

م. أبو موسى

مشاهد القيامة

التشبيه:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ القمر: ٦ - ٨

تصف واحدًا من أشد أهوال القيامة، حين يدعو الداعي وينفخ فيه مرة ثانية، فيبعث الموتى من قبورهم في هذا المشهد المروع التي تراه بأم عينك.

ينتشرون كالجراد متدافعين على غير هدى، (نُكر) تأمل الضم في أولها، وشدتها تخاذل أصيب به أولئك الخارجون من الأحداث، وأتى بالمصدر ولم يقل خاشعة أبصارهم (مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) الناس جميعًا ناكسون رؤوسهم يلوون أعناقهم مسرعين إلى داعٍ يدعوهم لشيء نكر.

(القارعة مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) نغمة حاسمة توطئة لوصف الناس والجبال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث).

إذ إن الناس عظيمهم وحقيرهم ملكهم وعبدهم تكون كالفراش المبثوث: المنتشر المتفرق على غير هدى وهذا دليل على الطيش، والجبال تحللت حتى عادت كالصوف المدبوغ.

ولمجنون ليلى قيس بن الملوح قول:

أبى الله أن تبقى لحيٍ بشاشة فصبرًا على ما شاء الله لي صبرا
رأيت غزالا يرتعي وسط روضة فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا
فيا ظبي كل رغدًا هنيئاً ولا تخف فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا
وعندي لكم حصن حصين وصارم حسام إذا أعملته أحسن الهبرا

وهكذا يصور عدوه على صورة ذئب، وهو خصيمه في حب ليلى ويقتله.

للشنفرى

لامية العرب

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزل تهاداه التنائف أطحل
غدا طاويًا يعارض الريح هافيا يخوت بأذناب الشعاب ويُعسل
فلما لواه القوت من حيث أمه دعا فأجابته نظائر نُحّلُ
مهلّلة شيب الوجوه كأنها قداح بكفي ياسر تتقلقل

هكذا أقسم الشنفرى أن يقتل منهم مائة فقتل ٩٩ وضرب أحدهم في جمجمته فمات فأكمل به المائة وكانوا قتلوا أهله وأسروه عندهم.

واللامية هي ميثاق الصعاليك، ومنها هذا الجزء البياني التصويري، فلقد عاشوا كالذئاب، فهو يتصور نفسه واحدًا منهم، وقد اشتد به الجوع كما اشتد بهم، هو يريد القوت الزهيد في صحراء قاحلة، فإذا لم يجده اشتق ترب الأرض حتى لا يرى عليه أمرئًا متطاولاً، وقد ينسى الجوع أو ينسيه نفسه، وها قد تحول لذئب بشري يخوض معاركه معهم، ذئاب كلما شمت ذئبًا جريحًا راحت فيه تقتل، في مذأبة كهذي، كيف ينقذ الحمل، ولقد كان العرب أيامه يثورون على الأوضاع الظالمة،

وهكذا تحول الشنفرى تحت حرارة الشمس والجوع الشديد إلى ذئب فعلا.

قال أبو نواس في المغتسلة:

نضت عنها القميص لصب ماءٍ فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل أرق من الهواء
ومدت راحة كالماء منها إلى ماء معد في إناء
فلما أن قضت وطرًا وهمت على عجل إلى أخذ الرداء

البلاغة عند عبد القاهر

مناقشة لأبيات المتنبي

د. مصطفى ناصف

قال عبد القاهر الجرجاني في الأسرار:

وهذا نوع آخر من التعليل، وهو أن يكون لمعنى من المعاني علة مشهورة، فيغيرها الشاعر بعله أكثر التصاقًا بالممدوح وأكثر دهشة، فالعلة المنفية هي إرادة بقاء ملكه:

وما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فالعلة المنفية بقاء ملكه، ولكن العلة التي تثير الدهشة أنه كريم حتى مع الذئاب.

يقول المتنبي:

أرق على أرق ومثلى يأرقُ وجوى يزيد وعَبرة تترقرقُ
جهد الصبان أن تكون كما أرى عين مسهدة وقلب يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انثنيت ولي فؤاد شيّقُ
فالموت آت والنفوس نفائس والمستفز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر والشبيبة أنزق

لقد طاشت معاني المدح والتشبيه، واسترسل الشاعر في معانٍ وقف الإنسان عندها عاجزًا، فقد أدرك المتنبي التداخل بين عوالم البهجة والشجن، ولقد احتفل بهذا كثيرًا في تكوين علاقات ناضجة وزخرفه فكرية.

أرى العراق طويل الليل مذ نُعيت فكيف ليل فتى الفتيان في حلب
يظن أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والأدب
فليت طالعة الشمسين غائبة وليت غائبة الشمسين لم تغب

هنا ما يشابه النغمة الداخلية الظاهرة، نسميها رثاء والباطن يسميها عبد القاهر الجرجاني، فهي معاناة من أجل التغير، وعبد القاهر جعله مأواه المحار، فلا بد أن نعرف ما يبطن الشاعر كي لا يضام.

ما قضى أحد منها لبانته ولا انتهى أرب إلى أرب
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف والشجب

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ النساء: ٩ - ١٠

إن المراقبة في أمر اليتيم بخلاف الجاهلية الذين كانوا يأكلون أموال اليتامى ظلمًا، وطريقته أثرت على عاطفة الأبوة ونبهت إلى أنه لا يأمن أن يخطفه الموت من بين أولاده الضعفاء، ثم أزال هذه الغمة بتقوى الله والعمل الصالح والقول السديد، كما أن الذين يأكلون أموال اليتامى إنما يأكلون نارًا وسيصلون سعيرًا، فالأكل صفة بين الحيوان والإنسان، والحيوان لا يبالي ماذا يأكل، فإذا فعل ذلك الإنسان أصبح حيوانًا بل أقل.

الحوار والحجاج في المناظرات القرآنية

عبد الغني الشيحاني- المغرب.

شكل الخطاب السماوي القرآني في دعوة غير المؤمنين إلى دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، مخاطبًا فطرة الإنسان وعقله، حيث إنهما مناط التكليف، والإسلام لم يدخل هذه البلاد بالسيف.

مناظرة إبراهيم عليه السلام للملك النمروذ المدعي الألوهية عليه لعنة الله

في سورة البقرة اعتمدت المحاجة لرد الحجة وبدأت بتحديد الهدف، وتدور أن الله رب العالمين هو المستحق للعبودية، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي ويميت، فقال أنا أحيي وأميت، أحضر رجلا عليه إعدام وبرأه، ورجل على براءة فأعدم، ولما أدرك إبراهيم أن مستواه لا يرقى إلى المستوى الفكري المراد ولا يرقى للمحاجة، عدل إلى أخرى أكثر وضوحًا، فالشمس تشرق كل صباح، وكل الناس يشاهدونها، فأتِ بها من المغرب.

وفي سورة الأنعام من أجل أن يقنع إبراهيم قومه بعقيدة التوحيد انطلق معهم في حوار مفتوح، فشكك منذ البداية في المسلمات التي عندهم، فألقى عليهم أسئلة مثيرة للجدل والعقل، فقام بالاستدراج هكذا.

لما رأى الكوكب قال هذا ربي، ولكنه أفل، وأنا لا أحب الآفلين، فهو لا يصلح أن يكون رباً، ثم القمر ما أجمله، ولكنه أفل، فقال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الظالمين، وهكذا الشمس هي عظيمة، ولكنها لا تصلح للألوهية لما أفلت، فقال إني بريء مما تشركون، ثم لجأوا للتهديد، فقال ردًا عليهم: كيف أخاف ما أشركتم وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا؟ فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.

النبأ العظيم
د. عبد الله دراز
وإعجاز القرآن

والتفسير الموضوعي لسورة البقرة

يقول د. عبد الله دراز: لو وجد هذا القرآن في الصحراء لعُرف أنه من عند الله، ويستند إلى أن محمدًا عليه الصلاة والسلام كان أميًا، والأمي لا يعرف الألف والميم والصاد مسميات الحروف (للشعراوي)، وهو معلم من طراز خاص، وقد هدم كل الأديان من خلال أساطيرهم ويرجعه إلى:

١. النظام الصوتي والنظم وترتيب الحروف والكلمات والجمل والارتقاء عن البلاغة الإنسانية في أحسن المعاني.

٢. الإعجاز العلمي والبياني.

نموذج للإعجاز البياني في سورة البقرة

تتكون السورة من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة:

أولاً: المقدمة للتعريف بالقرآن وما فيه من هداية.

المقصد الأول: في دعوة الناس عامة إلى الإسلام.
المقصد الثاني: دعوة أهل الكتاب خاصة وترك أباطليهم.
المقصد الثالث: عرض شرائع الإسلام تفصيلاً.
المقصد الرابع: الوازع على التزام شرائعه ويعصمهم عن المخالفة.
الخاتمة: ثواب الملتزم بهذه الشرائع.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ البقرة: ١ - ٢

إعلام للسامع أنه خير كتاب، وقد مزج الحدثين مزجاً عجيبا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ البقرة: ٢ - ٤

فهذه اللام المعدة التي أنزلق الكلام عليها لن ينتفع به إلا المتقين الذين أورد صفاتهم، أما الكفرة فلخص حديثهم في آيتين مشتملين على جملتين، وإن الذين كفروا (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) فدع عنك هذا وذلك لخبث طبائعهم وفظيع أعمالهم، وعطف عليهم المنافقين لاشتراكهم في أصل الكفر، وضرب لهم مثلين؛ الأول أناس يمشون في الصحراء في ليل مدلهم أضاءت لهم نارًا استوقدها ثم انطفأت هذه النار،

فأي ظلام سيكونون فيه؟ وأناس آخرون يخافون من الرعد ويستسقون من المطر.

ولما انتهت تلك المقدمة نادى الناس نداء تمام (يا أيها الناس أعبدوا ربكم... الآيات) افتحوا أعينكم أيها الناس وتعالوا لسبيل النجاة فهو الذي خلقكم، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، ويقال طريق معبدة قد وطئتها الأقدام.

المقصد الأول: ثلاثة مطالب.

١. ألا تعبدوا إلا الله ولا تشركوا به شيئًا.
٢. أن آمنوا بكتابه الذي نزله على عبده.
٣. أن اتقوا أليم عذابه وابتغوا جزيل ثوابه.

وهكذا ترى السمعيات جاءت مفرعة عن النبوات (..... فأتوا بسورة من مثله فإن لم تفعلوا.... فاتقوا النار) ثم عن الجنة ونعيمها، وأن الله لا يستحي أن يتناول حقير الأشياء وجليلها لبيان المقصد الأول؛ كيف تكفرون بالله المنعم عليكم أولاً بنعمة الإيجاد من العدم، ثم ذكر النبوات من لدن آدم (قصة الخلق) إلى النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فالأنبياء أولات علات دينهم واحد، ومن يكفر بدين أو بنبي أو الملائكة جبريل وميكائيل فقد كفر بهم كلهم،

(إبليس - الملائكة - النزول ..... وذكر اليهود المعاصرين للدعوة وتعنتهم (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم بعد كل ذلك؟) ويعود للرد الإخباري مقسمًا إياهم إلى فريقين؛ فريق يحرف الكلام وينشئ الكفر، وجهلاء مقلدين لهم ضحايا التضليل، وكلهم لم ينجوا من النار، ثم ثنى ذلك بغرورهم وزعمهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وهنا قضى القانون الإلهي: للذين كسبوا السيئات وأحاطت بهم خطاياهم.

١. تعصبهم ضد الحق لباطلهم.
٢. كفر هم بالقرآن، وكانوا يستفتحون به على المشركين قبل البعثة وقالوا: نقتلكم به قتل عاد وثمود.
٣. دعواهم الإيمان وهم يعبدون العجل الذهبي والمال، وأشرب ذلك في قلوبهم حتى الآن.
٤. حرصهم على هذه الحياة الفانية، ويقولون بألسنتهم إن الخلود في الجنة لهم وما كان حرصهم هذا إلا لأنهم على يقين أنهم في النار.
٥. عداوتهم لجبريل وقد سبق شرحه.
٦. خلف الوعد دائمًا.

٧. اشتغالهم بالسحر وادعاؤهم أن سليمان عليه السلام كان ساحرًا، وكان يسيّر مملكته بالسحر، ولقد نفى القرآن كل ذلك.

٨. الاستهزاء بالرسول.

٩. نهي المؤمنون عن الوقوع في مثل ما فعل أهل الكتاب من اليهود كما كانوا يفعلون مع موسى.

١٠. حقدهم على محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يريدون أن يكون الرسول الخاتم من نسل إسرائيل لا إسماعيل، والله هو المشرع ينسخ ما يشاء ويختص من يشاء.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ البقرة: ١٠٦ – ١٠٧

فهو يملك الزمان والمكان، له صفة الخلق قبل أن يخلق، وأنتم أيها المؤمنون ليس لكم من دون الله من ولى يتولاكم ويرعاكم ويكلؤكم بالليل والنهار،

وإن النصر من عنده فقط، فلا تلتمسوا النصر من عند غيره، وهو القادر على أن يكلؤكم ويحفظكم وينصركم، فإن سئل عن السبب: قيل إنه على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، له طلاقة القدرة، وأنه له ملك السموات والأرض، فعّال لما يريد.

١١. يرغبون (أهل الكتاب) أن ترتدوا عن الدين (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ).

١٢. زعمهم أن لن يدخل الجنة لا من كان على دينهم، فهم لن يرضوا عنكم أبدًا حتى تدخلوا دينهم الباطل.

١٣. طعن كل طائفة (من اليهود والنصارى) في أختياره، وطعن المشركين في كليهما، وذلك يحدث حتى الآن.

إذ دفع البروتستانت الكاثوليك إلى أن يبحثوا، فقالوا إن الأسفار الخمسة الأولى (التكوين والخروج والتثنية واللاويين..... إلخ) والتي تمثل توارة موسى، لا يعرف موسى عنها شيئًا، وكذلك رصدوا التغيرات في كتابهم المقدس، ويقول الكفرة منهم إن عيسى عليه السلام كان مجرد حاخام يهودي..... إلخ.

١٤. وهم يمنعون الناس من الصلاة في المساجد كما يفعل اليهود اليوم في بيت المقدس.

١٥. قولهم إن لله ولدًا، ومنهم لا يؤمنون قد ختم على قلوبهم من جراء كل ذلك.

١٦. ذكر إبراهيم أبي الأنبياء، وأنه لم يكن يهوديًا أو نصرانيًا؛ لأن اليهودية والنصرانية جاءت من بعده، بل هو حنيف مسلم، وذكر بداية الحكاية (وإذ ابتلى إبراهيم ربه.....).

١٧. قصة بناء الكعبة أن إسماعيل هو الذي بناها مع إبراهيم على قواعد سابقة من لدن آدم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ البقرة: ١٣٨

هكذا يؤسس للأمة الإسلامية الجديدة شرائعها كأمة متكاملة لجماعة معينة، (يا بني إسرائيل اذكروا نعمة.....) وهكذا يدعو بني إسرائيل إلى الدين الجديد، وأن إبراهيم الذين تدّعون الانتساب إلى ابنه إسرائيل كان مسلمًا، والأصل ليس العنصرية وأنهم شعب الله المختار، وإنما الرابطة الدينية هي التي تربط هذه الأمة،

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ آل عمران: ١١٠

ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤. ذكر المسلمين المتصل بإبراهيم، والانتقال لمسألة تغيير القبلة، وأن الجهات كلها لله، فاعملوا صالحًا، والتشكيك في نقل القبلة المراد به التشكيك في الإسلام نفسه.

وهكذا تركت السورة اليهود في غيهم ودخلت للمقصد الثالث والخطوة الأولى تقرير وحدة الخالق المعبود: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)..... الآيات.

فهو الذي أمر محمدًا عليه صلوات الله وسلامه بتغيير القبلة التي بناها إبراهيم وإسماعيل، وبدأ في التشريع للأمة الإسلامية، وبدأ ذلك بالأكل الحلال الطيب وليس الخبيث؛ لأن الإنسان يكون إنسانًا يأكل الطيب الحلال، وإنما يأكل أي شيء طيب حلال، وأن من يأكل الخبث والحرام هو الحيوان لعدم قدرته على تبين الحلال من الحرام؛ لأنه لا يوجد عنده عقل، فهذه هي الفريضة الغائبة.

الخطوة الأخيرة:

ترى فيها عجائب من النسق القرآني يشرح العجائب الكونية والشرعية، منها:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧

فليست الأماكن والأشخاص أو الأفعال الظاهرية، وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل.

المقصد الثالث:

بعد إرساء العقيدة يبدأ في بناء الشريعة، ففي كل آية نرى فنًا جديدًا وتشريعًا حميدًا في معاني الحلال والحرام، ولقد ختمت آية البر بالصبر في البأساء والضراء وحين البأس، وهذا النظام التصاعدي نفسه يتبع في سائر الخصال الحميدة، من الوفاء بالعهود والعقود وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والبذل والتضحية في سبيل الله والصبر حين البأس كفًا عند الاندفاع في القتل، ثم آيات القصاص

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾ البقرة: ١٧٨ - ١٧٩

ثم الموت وما يجب على المحتضر، فالصبر في البأساء والضراء ليس فقط في الأمراض، ولكن الجوع والعطش، ثم آيات الصيام (كتب عليكم الصيام) ١٩٨ عن الحلال والصيام عن السحت والحرام.

ليس الصبر الاضطراري، ولكن الحج أيضًا نوع من الجهاد، إذ سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما بال الرجال يجاهدون في سبيل الله؟ فقال في ما معناه جهادكن الحج ثم العمرة. ثم ذكر أن هناك من يعمل للدنيا فقط، ومن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
فمن يطلب الآخرة نعطيه الدنيا هدية من البر الوفاء بالعقود، والتي أهمها عقد الزواج، وهكذا تتصل آيات الإنفاق والجهاد ومخالطة اليتامى وشرائط المصاهرة وموانع المباشرة وقوانين الأسرة، وإن تعفوا هو أقرب للتقوى....

ولا تنسوا الفضل بينكم. والله بما تعلمون بصير، وفي أثناء ذلك كله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى والجهاد والموت في سبيل الله، وموقف الميت زوجها.

أما الخوف من الموت

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ البقرة: ٢٤٣

ومن أفضل الفضائل التضحية في سبيل الله، إلى أرذل الرذائل وهي الربا، والمال مهم لإقامة الحياة، فأتت آية الدين أطول آية في القرآن.

المقصد الرابع:

في آية واحدة.

١. الايمان.

٢. الشريعة.

٣. الإحسان.

تتجاوب المقدمة مع الخاتمة، ألسنا نترقب صدى الوعد؟ هذا جزاء من استمع واتبع:

١. بلاغاً عن نجاح دعوتها (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ).

٢. وفاء كل نفس بما عملت، (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وأعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكفرين).

آخر آية في كتاب الله: (واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله).

وآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله:

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) الحي بذاته المقيم لغيره الذي يكلا خلقه بما يقيم حياتهم.

إعجاز القرآن
عند ابن القيم الجوزية (مقدمة قاعدة مهمة له)

لا يجوز تحريف كلام الله انتصارًا لقاعدة نحوية، وهدم مئة قاعدة أسهل من تحريف الآية؛ فقواعد الإعراب والتصريف الصحيحة مستفادة من القرآن مأخوذة من إعرابه وتصريفه، وهو الشاهد على صحة غيره بما يحتاج إليه، فهو الحجة والشاهد، وشواهد الإعراب والمعاني منه أقوى من شواهد الأعاريب، وذلك المتواتر الشاذ منه.

اتخذ ابن القيم لنفسه بمنهجه مذهبًا سلفيًا افتقدناه عند كثير من النحاة، وبين لنا منهجه في الاحتجاج، وكان منطلقَ مذهبه أن النص إذا ثبت كان دليلاً قطعيًا، والنص أصح إذا ثبت من القياس، بعد انفصال الدرس النحوي والفقهي رجع ابن القيم يبرهن على أن الدرس القرآني والبحث في التفسير وإعجاز القرآن كان مقصد ابن القيم من أبحاثه اللغوية، ترى النحو يعالج الإعجاز من خلال الأدوات والحروف والتراكيب وربطه بين البلاغة والإعجاز.

الاكتفاء والاستغناء عن شيء بآخر:

(إن نشأ ننزل عليهم آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) فاستغني بالأعناق عن أصحابها.... وكمثاله (والله أحق أن ترضوه) ورسوله كذلك.

العلة النحوية

إن السليقة والقياس كلاهما طريق إثبات القاعدة، قال عمر بن الخطاب: أنحى الناس من لم يلحن أحد. رواه الخطابي في رسالته وعن طريق الحس باللغة تستطيع إدراك الأعمار.

وقد استقصى وتوسع في التحليل مما يدل على إحاطته بالبلاغة:

أ- همزة الاستفهام - أم الباب لأنها ليست معتمدة وهي للإثبات.

ب- الهمزة وأم يستصطحبان غالبًا.

ج- اقتران أم بغيرها من سائر أدوات النفي غير الهمزة يفسد معناها مثال (ما أحبني إليه) إن كنت المحبوب كانت تعجبًا، والعلة الحروف التي تعدى إليها و(أفعل)، القاعدة الثانية أن الصفة تتضمن معنى ليس في الموصوف، لذلك أضافوا الموصوف لها كـ(حق اليقين) تاء التأنيث في قصة شعيب (وأخذت الذين ظلموا الرجفة والصيحة والظلة)، فان الرجفة بدأت بهم فأصحروا فصهرتهم الشمس، وجاءتهم الظلة فيها العذاب.

إن الرحمن صفة ذاتية، والرحيم متعدية، والتصفية إعطاء الحرف معنيين، وقال ابن الجني: لم يعط هذا المعنى أحد حقه، وقال ابن القيم: غير المغضوب عليهم إنها صفة لا استثناء لسببين؛ الأول أنهم منعم عليهم، والثاني غير المغضوب عليهم، ففيها معنى ليس، فلو قلت لا المغضوب عليهم مثلاً (ولا أنا عابد ما عبدتم) إن ما فيها رائحة الشرطية كأن يقول مهما عبدتم من شيء فلا أعبده، والمتعدي بغير الحرف، واختار موسى سبعين رجلا كأنه نخل سيرتهم.

أ- **الحمل على المعنى: ومثاله:**

لا تأكل السمك وتشرب اللبن، أي لا يحسن فيك ذلك، وإن كان لا يجوز عطف الاسم على الفعل كمثل (وما أموالكم ولا أولاكم.....) يراه أنه منقطع ويراه غيره عكسه.

ب- **العامل النحوي:**

اهتم ببيانه لارتباط بنية الكلمة وتركيب الجمل به، ولدوره في إيضاح المعنى المقتضى للإعراب، فهو نظرية للنظم في الجملة، وما يقف معه يقف على أسرار التراكيب، فهما مرتبطان، وهو ما دل على غيره اسم أو فعل، ومن أمثلته (فاصبر لحكم ربك...

إذ نادى وهو مكظوم)، لما كان فداؤه مسبباً عن كونه صاحب الحدث، فهي أن يشبه في حالة وهي ضعف العزيمة والصبر لحكم الله تعالى طوال القصة.

ج- **القياس:**

واعلم أن إدراك القياس إلى شيء على ما نطقت به العرب فدع ذاك، مما يعني أن العربية ليست قياسية، وكذلك اللغات الأجنبية، وأنواع القياس كما في أصول الفقه: قياس طرد وعكس وتمثيل: إلحاق نوع بآخر للعلة، ومثاله (واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون) والضد (لا نريد منكم جزاءًا ولا شكوراً)، وأنكر ابن القيم ككل السلفيين القياس المنطقي اليوناني.

مثال للحمل على المعنى:

الرد على قول الزمخشري المعتزلي، ولو شيئًا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض، ملحوظ فيها جانب المعنى المعدول عن الألفاظ للمعاني، وذلك أن قوله: ولو شئنا لرفعناه بها، أنه لم يتعاط الأسباب التي تقتضي رفعه بالآيات من إيثار الله ومرضاته على هواه، ولكنه آثر الدنيا فأخلد للأرض.

باب المؤلفات اللغوية لابن قيم الجوزية

من البديهي أن إتقان الدين الإسلامي يستلزمه إتقان اللغة العربية، وهذه هي المؤلفات اللغوية له:

١. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان.
٢. بدائع الفوائد.
٣. التبيان في أقسام القرآن.
٤. الأشياء في القرآن في أعلام الموقعين.

وكتب ابن القيم في البلاغة والأدب مصنفات لا تحصى، ولا يكاد يخلو منها كتاب له، كما أن الأسلوب الأدبي هو الأسلوب المفضل عنده إن لم يكن الوحيد.

بدائع الفوائد

ذكره السيوطي وأثنى عليه، ووصف ابن القيم بأنه المجتهد المفسر ترجمان القرآن، وقد كان أستاذه ابن تيمية في العقيدة، والسهلي في اللغة وقد خالفه في مسائل، في الكتاب ميزة استقراء المعاني من النصوص الإسلامية، فمثالاً لذلك السؤال عن العلة ما لم يقترن به جواب من المسئول، وإن اقترن به كان ما يدل على المنح من الفعل.

التبيان في أقسام القرآن

أفرده طاش كبرى فقط في الأقسام، وكذلك السيوطي وأثنوا عليه، وهناك الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، وهذا الكتاب غير متداول في الأسواق الآن، وفيه مسائل الإعجاز نقلاً عن القزويني والسهلي وغيرهما، ونجد ترتيب الكتاب عند ابن القيم يبدأ بمجاز التعبير بلفظ المتعلق به، وأقسام الكتاب أربعة وعشرين كما يقول، وهو إطلاق اسم السبب على المسبب (أربعة أقسام) وإطلاق السبب على المسبب (٨ أقسام) والفعل على غير فاعله لما كان سبباً له (٤ أقسام) ثم يتناول الاستعارة حدها وأقسامها واشتقاقها وما تصح منها وما لا تصح حسب الذوق العربي، والمجردة منها والمكنية، وشروط الاستعارة الكاملة، ومنها للتشبيه، وهل هو مجاز؟ - التشبيه - حده - مكوناته - أقسامه - أدواته، ومنه ما لا يكون بغير أداة - تشبيه اثنين بواحد - التشبيه المركب - الفرق بينه وبين الاستعارة - ثم الإطناب ثم علم المعاني - والتكرار والتذييل، كما نلحظه يتحدث عن التذييل بحرف، ومثله: (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إلى ربك يومئذٍ المساق) الآية، ومثاله حام.. حامل/ كاف- كافل.

كما مثل للاستعارة القبيحة:

سبعون ألفًا كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

ويفضل الراوية: نصجت جلودهم، وللاستعارة القبيحة

أيا من رمى قلبي بهم فأدخلا

ويرى أن (فأنقذا) أو (فأقصد) استعارة حسنة، وألف هذا الكتاب لإثبات الإعجاز.

الاستعارة المرشحة

وهي أن تنظر إلى جانب المستعار فتراعي جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم عليه ما يقتضيه، كقول كثيّر: (رمتني بسهم ريشه الكحل لم يصر).

المستعار ألرثي:

فكتاب الفوائد المشوق مهضوم حقه، فقد أخذ من كتب لم يعد لها أثر، مثل (التفريع في علم البديع) لزكى الدين عبد العظيم المتوفى سنة ٦٥٤م، وتحرير التحبير، وذكر السكاكي والبديع لأسامة بن منقذ، والحالي والعاطل للحاتمي، والمجاز للعز بن عبد السلام، وقد جاء في الفوائد المشوق:

- حد البلاغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل أو التطويل الممل.

- الكلام البليغ: الذي يبلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعاني إلى غاية لم يبلغ إلى مثلها أحد.
- المجاز من جاز الرجل المكان إذا تركه لغيره، والذي يجوز ولا يصح إلا بنسبه، مع علاقة بين المدلول والدال، ويجوزه الذوق العربي، وكما قال عبد القاهر الجرجاني: كل قائل أعلم بمراده، وأقام:

١. علم على معلوم.
٢. الإرادة عن المراد.
٣. الفعل على جزء منه.

وفي حديث ابن القيم عن التفريغ نوّعه إلى نوعين: الأول أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إما اسم أو صفة، ثم يكررها مضافة إلى أسماء وصفات متفرعة، وهناك تفريغ الجمع وفيه كل بيت منطوٍ على خروج معانٍ شتى من المدح من أصل واحد، والنوع الثاني وهو مسبوق فيه من أقسام المجاز:

١. المعلوم عن المعلم.
٢. المقدور على القدرة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل: ٨٨

٣. التجوز - بالإرادة عن المراد. (وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ) ولم يفرقوا.
٤. المراد عن الإرادة (وإن حكمت فاحكم بالعدل) إن أردت.
٥. إطلاق الفعل وإرادة الجزء (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ).
٦. التجوز بالأمل عن المأمول.... (وَخَيْرٌ أَمَلًا) مأمول.
٧. التجوز بالوعيد عن الموعود، ومثاله:
أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه، أي موعده.
٨. إطلاق العهد على الملزم له، مثاله: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) أي ما تقضيه هذه العقود.
٩. إطلاق البشرى على المبشرين (بشراكم اليوم جنات) أي دخولها.
١٠. إطلاق القول على المقول فيه، ومنه: (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أي مدلول قولهم.
١١. إطلاق البعض على الكل، (سوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون وفي (قل هو نبأ عظيم).
١٢. إطلاق الاسم على المسمى (إن هي إلا أسماء سميتموها).

١٣. إطلاق الكلمة على المتكلم (لا مبدل لكلمات الله).
١٤. اليمين على المخلوق عليه: (لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) أي لا تجعلوا قسم الله عرضة لأيمانكم.
١٥. التجوز بلفظ العزم على المعزم: (إن ذلك لمن عزم الأمور).
١٦. (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أي من ربهم مشفقون.
١٧. إطلاق الحب على المحبوب، ومثاله (أني أحببت حب الخير) أي محبوبه.
١٨. إطلاق الظن على المظنون: (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب) أي ظنونهم الهلاك.
١٩. إطلاق اليقين على المتيقن (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت.
٢٠. إطلاق الشهوة على المشتهى في إعراض المؤمنين.
٢١. إطلاق الحاجة على المحتاجة (إلا حاجة في نفس يعقوب) و(لا يجدون في قلوبهم حاجة مما أوتوا) أي ولا يجدون في تمني بشيء يحتاجونه إلا أعطاهم المهاجرون إياه.

الأمثال في القرآن

لقد وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون

١. مثال

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ الرعد: ١٧

شبه سبحانه الوحي الذي أنزله لحياة القلوب بالماء المنزل بمياه الأودية كل يأخذ بحسبه والخبث يذهب جفاء.

٢. مثال

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ يونس: ٢٤

شبه سبحانه الحياة الدنيا وتزينها في عين الناظر وغروره بها حتى إذا ظن أنه مالك مقتدر سُلِبها وهو أحوج ما يكون.

٣. مثال

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ البقرة: ٢٦٦

رجل له جنة فيها ما لذ وطاب وكبر في السن وعياله صغار ضعفاء فأصابها إعصار، كذلك حال الكافر تطيش أعماله يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إليها.

إن الأسلوبية الأوربية تبحث في الإشارات Sign قبل الكتابة في العقل، والبلاغة عندهم هي فن الخطابة والجدل والإقناع والمجاج، وماذا يظن ذلك في قصائد الغزل والوصف، وقد تكلم الجاحظ عن حكمة العرب في العصي القسي

إن التداولية في النص نتاج المجتمع التفكيكية = التوهان - والأسلوبية افتقارها للمعيارية، وعلم النص - القصد من النص،

والهدف من لا بد من تحديده - الهدى القارئ لا بد إن منشئ نص جديد هدفه الضلال.

الحوار والجدال القصصي في القرآن

ينتشر الجدل والحوار والحجاج في الشعر العربي القديم، وهناك من ينكر ذلك، وهناك نماذج كثيرة للحواريات في الشعر، مثل ما جاء في شعر عمر بن أبي ربيعة عندما يقابل حبيباته ويدور هذا الحوار:

قالت: ألا تلجنّ دارنا إن أبانا رجل غائر.

قلت: فإني طالب غرة منه وسيفي صارم باتر.

قالت: فإن القصر من دوننا.

قلت: فإني فوقه ظاهر.

قالت: فإن البحر من دوننا.

قلت: فإني سابح ماهر.

قالت: فخولي إخوة سبعة.

قلت: فإني غالب قاهر.

قالت: فإن الله من فوقنا.

قلت: فربي راحم غافر.

قالت: لقد أعييتنا حجة، فإذا ما هجع الساحر، أسقط علينا كسقوط الندى ليله لا ناهٍ ولا آمر.

قصة إبراهيم عليه السلام وما جاء فيها من جدال مع مقارنتها بما جاء في الكتب السابقة

مقدمة لا بد منها

هناك من يقول إن محمدًا معلَّم من قِبَل نجار نصراني، وقد رد عليهم أنه قرأن عربي معجز في بيانه، وإذا قرأت الكتب السابقة لقيت لغطًا كثيرًا وكلامًا ركيكًا لا يدخل العقل (أأعجمي وعربي) كيف هذه العظمة في البيان العربي تقارنه بالكلام غير المفهوم في الكتب السابقة؟ والثقافة الغربية كما قال ت. س. إليوت معتمدة على الحضارة اليونانية والمسيحية، وربط بينهما ألبير كامو، وقال إن الإله الذي عذب الإنسان في المثيولوجيا اليونانية نزل وصلب نفسه تكفيرًا عن ذلك سبحانه وتعالى عما يقولون، وكما يقول الأوربيون وغيرهم إن أعظم شيء أعطاه نيتشه هو موت الإله، وفي الحقيقة إن الإله صلب وشبع موتًا حسب ما تقول النصرانية المحترمة، لا بد من معرفة ذلك لمعرفة البلاغة الأوربية، وهي إن وجدت فلا ترقى إلى البلاغة العربية أو اللغة العربية، فإذا ما انتقلنا لقصة إبراهيم في القرآن مع مقارنتها بالكتب السابقة تبين الخلاف الكبير، وهكذا جميع الأنبياء.

مثل نوح الذي زنى بابنتيه - وسليمان الذي كفر وعبد الأصنام وأبوه داود زنى - فالأنبياء الذين في القرآن والعهد القديم لا يجتمعون إلا في الأسماء.

فمثلاً لما بنى الإنسان أبراج بابل حقد عليهم الرب وحطمها حقدًا منه سبحانه، وهكذا.

قصة إبراهيم عليه السلام في القرآن والتوراة

إبراهيم اسم الرسول العظيم أبي الأنبياء خليل الرحمن، وجاء ذكره وهو يجادل قومه في سورة الأنعام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأنعام: ٧٤

ولد إبراهيم حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد في مدينة أور بديار الكلدانيين في العراق، وكان أبوه يحت الأصنام، وتبدأ التوراة القصة حين بلغ خمسًا وسبعين سنة (تكوين ٢)، ولا يحكى أي شيء عن قصته مع قومه وما دار بينهما من حوار أدى إلى أنهم رموه في النار، ولكن الله أنقذه، ولا قصة هاجر وإسماعيل، فهناك خلاف بين قصة إبراهيم في التوراة والقرآن وكذلك كل الرسل.

أتت الرسل برسالة واحدة (أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وكان الرد دائمًا أن لئن لم تعودوا لرجمناكم وليمسنكم منا عذاب أليم، انظر إذن إلى الحوار الذي كان يدور دائمًا بين الرسل وقومهم كما جاء في سورة إبراهيم، لم يحدد الأسماء ولا الزمان ولا المكان لأنها قصة متكررة.

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم
بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١
وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ
ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ١٢ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ
لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ
ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن
مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ
ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ
عَذَابٌ غَلِيظٞ ١٧ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ
كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨

إبراهيم: ٩ – ١٨

إن هذا الحوار قد دار نفسه مع نوح وعاد وثمود وكل الرسل الذين جاءوا من بعدهم، وهؤلاء لا يعلمهم إلا الله، فلكل أمة رسولهم، فانظر إلى ما كان من رد فعل الكافرين من قولهم: (فردوا أيديهم في أفواههم)، وهذا للمبالغة عن رد كلام الرسل وبمباشرة دون أن مقدمة

﴿ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩ ﴾ إبراهيم: ٩

الآية، فرد الرسل هؤلاء الكفرة إلى البديهات

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٠ ﴾ إبراهيم: ١٠

ودخلت الجملة الثانية دون إرادة ربط، فالله (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مدحًا له، وهذا سبب عبادته، إنه الخالق ليغفر لكم ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى، فإذا آمنتم تدخلون الجنة وتنعمون فيها، ويتكبر الكفرة (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) في أسلوب حصر وقصر من أرذلنا، وهذه المشكلة لم تكن هي قضية الرسل، وإنما قضيتهم الإيمان بالله، والوطنية والمجد تذهب لكم، قالت لهم رسلهم (بكل تواضع لإرجاعهم لقضية الايمان)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ إبراهيم: ١١

لقد صرح الكفرة بالأذى والإخراج وحتى الرجم، وهذا حجة الضعيف ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ الكهف: ٢٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾

إبراهيم: ١٣ – ١٤

هؤلاء الفكرة يطلبون الفتح والنصر من الله كما قال أبو جهل: اللهم من كان يقطع الرحم..... إلخ فأهلكهم)

إنه فعلا في ضلال مبين

(مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ)

إن هذا الفتح هو ما يستحق هؤلاء الجبابرة.

بلاغة النظم القرآني

د. بسيوني عبد الفتاح فيود

اختصار ودراسة وتحليل

المفردات والتراكيب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ النساء: ٨٥

تأتي نصيب غالبًا في الخير والكفل غالبًا في الشر، والكفيل هو النصيب الذي اعتمد عليه الناس، وكفلها زكريا) (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا)، الينبوع العين التي لا ينصب ماؤها، تفجير الأنهار الكثيرة، ويضم التاء وتشديد الجيم فجر) الرباعي والمصدر تفجيرًا.

التعريف والتنكير:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

التوكيد اللام الموطئة للقسم ونحن – وإنا - للتأكيد على عظمة الربوبية هي الحافظة له دون سائر (بَنِي إِسْرَائِيلَ) عبد الله وصفيه، لذلك لم يخاطبهم بيا بني يعقوب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يوسف: ٢٣

١- نزاهة يوسف.
٢- تأكيد مراودة امرأة العزيز.
٣- الاسم الموصول فيه استهجان النطق باسمها، وقمة البراءة ليوسف الذي استخلصه الله.

فإن كل هذا هو عبد وسيدته التي تراوده في بيتها وتغلق الأبواب وهو يرفض، والسبب (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، أي نوع من الحياة.

التوابع والقيود

١. وإذا لأتيناهم ولهديناهم صراطًا مستقيما

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ النساء: ٦٩

هؤلاء هم الرفقة الحسنة، وكأن المؤمن الذي يحس بالغربة في هذه الدنيا يطلب من يؤنسه وتقدي به في هذا الصراط المستقيم، ولقد ذكر في الفاتحة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) وهم المذكورون في الآية السابقة.

٢. (ومن يفعل ذلك يلق أثامًا. يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) فيه تجلية وأكثر بياناً من يلق أثامًا بالحذف من شجاعة العربية، كما قال ابن جني، فيطوي جزءًا من الكلام لا يختل المعنى، وقال عبد القاهر: هو باب دقيق المسلك شبيه بالسحر فاتك برعاية الذكر أفصح

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾ المنافقون: ١٠

هكذا تطوى الدنيا فالشيطان يمد لك فيها بالأمل، وهذا الإنسان يقول ربي لولا أخرتني إلى أجل قريب فقط لأعمل الخير وأنفق في البر، ولكن هيهات هيهات ولات حين مناص.

الفصل والوصل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ آل عمران: ٢٦

توالت هذه الآيات موصلة بالواو متصلة ثم فصلت (بيدك الخير)، وهذه الجملة تحليلية تبين سبب اختصاص بما تقدم، وعند عبد القاهر نظرية إعجاز القرآن د. محمد حنيف فقهي، سبق بحثها للخطابي وغيره، ولكن الذي أبانها الجرجاني، متسائلاً أين يكمن إعجاز القرآن؟ هل في المفردات أم الجمل؟

ثم يعرض للفواصل والاستعارة - الإعجاز كلمة مستحدثة، والأولى الآيات والبرهان من الأول أسرار البلاغة أم دلائل الإعجاز؟

في سورة البقرة لابن قتيبة "مشكل القرآن"

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ البقرة: ٢٧٥

هذا في يوم القيامة يقومون يسقطون.

خصائص القرآن في اللفظ والمعنى والإعجاز

د. عبد العظيم إبراهيم المطعن

الموضوعات (فواتح السور - الفواصل - اللفظ والنغم - التكرار) ففي مجال فواتح السور كانت الخلاصة أن ذلك إشارة لإعجاز القرآن، وهناك فرق بين فواصل السور الكبيرة والصغيرة، وفي مجال الإعجاز الصوتي فإن القرآن يتميز بخاصية صوتية فريدة كفلتها حروفه والحرسكونيات.

مع الإعجاز المعاني، ومثال ذلك قوله تعالى من هذه الآية تتكلم (قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) تمضي على هذه الفاصلة حتى آية (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ) تتحدث عن نشأة طعام الإنسان، تتكلم من هذه الآيات إلى (فإذا جاءت الصاخة) تتغير الفاصلة لأخرى تتكلم عن أهوال يوم القيامة، وهكذا تميز القرآن بخاصية صوتية فريدة كفلتها حروفه وحركاته وسكناته، وللتكرار للأهمية واستخدام القصة كعنصر من عناصر البناء والطبيعة وأهوال القيامة والأخلاق والتشريع فتبدو كبناء شامخ، وكيف لا والله هو البناء، واستخدام اللفظ في معاني متحدة كالهدى والسوء والحساب مثاله (يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

والترابط – الحذف – التقديم - الجرس: في قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا..... وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) وهذه الكلمة (يَصْطَرِخُونَ) تبين شدة جأرهم واللجوء لله، والكلمة كلما كانت عنيفة زادت حروفها وزاد معناها، وحروفها تصطك في الأذن هادرة.

الظل والجرس:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ الأعراف: ١٧٥

هذه الآية تمثل تملص رجل من الإذعان لهدى الله، وكلمة (انسَلَخَ) تمثل لنا الصورة العنيفة في صورة (الشاة) إذا ذبحت وأزيل عنها جلدها، فكأن خروج هذا الرجل من طاعة الله وإلقائه لستره وما يحفظ أمره، فهو لا يلوي على شيء من حفظ أسباب الكرامة، والمعنى أن الله (فخططناه ووضعنا منزلته) فأصبح كالكلب في القاذورات (إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث) لا فائدة فقد أعرض عن الله فأعرض عنه الله.

البلاغة عند الغرب

بما أن ت. س. إليوت يقول إن الثقافة الغربية الحديثة تعتمد على الميثولوجي المسيحي واليوناني، وبما أن أفلاطون من أهم الفلاسفة اليونانيين، فلنعرف رأيه في البلاغة، وهذه محاورة جورجياس. سقراط: تقول إنك قادر على تعليم البلاغة لمن يريد تحملها.

جورجيا س: نعم.

سقراط: لدرجة أنه من الممكن إقناع الحشد بأي موضوع كان من دون تعليمهم؟

جورجياس: تمامًا.

سقراط: كنت تقول الآن إن الخطيب يتمكن من إقناعهم أكثر من الطبيب في مواضيع الصحة.

جورجياس: فعلا أمام الحشد.

سقراط: أمام الحشد أي بلا شك أمام من لا يعلم؟ لأن الخطيب أكثر إقناعًا من الطبيب أمام من لا يعلم.

جورجياس: بالتأكيد.

سقراط: إن كان يقنع.

فالبلاغة عندهم إذن هي طريقة لخداع الساذج العادي، وهذا على العكس تمامًا من البلاغة عند العرب، فإذا امتلأ قلبك بالحق فإنه يفيض به على لسانك.

وكذلك في الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي منافسة بين عالم عربي أظنه السيرافي ومتى المسيحي، تبين تفوق العربية على سائر اللغات والمنطق اليوناني.[٦]

فضاءات الاستعارة

(هذا الجراح جزار) (رئيسي في العمل بلدوزر) هناك فضاءات لم يستطع الغرب تحديدها، هناك فضاء في العقل يشغل فضاء الكلمة المكتسبة من الرؤية المتكررة وانطباع عام (فضاء الكلمة في المعجم) وهو فضاء سديمي خاص بها ولا معنى لها إلا إذا اتسقت خلال الجملة، والجمل أيضًا يحددها قصدية النص الذي يحدد هدف الجمل، وإلا فإن الجملة أيضًا ستدور في فضائها، مثال يحتمل هذا النص: وهذا الجراح جزار، وحشية تقطيع اللحم/ عدم الإتقان والعجلة.

فالاستعارة ظواهر مفهومية عقلية بالأساس عوضًا عن أن تكون ظواهر لسانية، ولا بد من وجود فضاء ما يلتقي فيه

[٦] مجلة فصول عدد ١٠١- خريف ٢٠١٧.

(الكاتب والقارئ)، فضاء عقلي يزيح المعنى الحقيقي إلى الاستعاري، ولا يمكن كتابة قائمة بكل هذه الصلات، ولكن تنشأ من الجهد والأريحية، إن الفئة المخصصة (جزار) إشكالية بالمثل أنها تدل على أناس يصنعون جراحًا لا يرتقي إلى مستوى الدقة والكياسة وتقدير عواقب الأمور والتخطيط للمخاطر (تأويل الجزار في المثال السابق).

١) أولئك الذين يمارسون أعمالهم على نحو مستهجن (رهيب) حسب جلوكسبيرج.

٢) تدل على أناس يتعاملون مع اللحم الإنساني على نحو ينتهجه الجزارون (سير ويلسون).

٣) تدل على أناس عاجزين عن بلوغ معايير الدقة والكياسة، فماذا إن قلبنا التشبيه (هذا الجزار جراح)؟!

موضوعات للمناقشة التداولية والعقل الأوربي ونظرية الدمج والعلاقات الإنسانية.

ملاحظة: وإن تعجب فاعجب لمن يفرق بين الجاحظ وطه حسين، مع أن أصولهما اليونان والمعتزلة والزمخشري.

النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية
(أحمد صالح شاهين)

خلاصة

تعريف التداولية (البراجماتية):

أول من ترجمها من التداولية للبراجماتية طه عبد الرحمن، وهى دراسة اللغة في الاستعمال، وأن المعنى ليس متأصلا في الكلمات وحدها، ولكن من خلال تواجدها في السياق، وتعتمد التداولية من بين أسسها أن القارئ هو منشئ ثان للنص، وهنا مكمن الخطر بالنسبة للدراسات الإسلامية، فالنص القرآني يمكن قراءته مرة أخرى من مسيطر معتزلي.... إلخ.

فيتحول للضلال بدلا من الهدى.

إن التداولية منهج بحثي ما بعد حداثي، وقد نشأ خلال الحرب العالمية الثانية، بشأن التجسس وإيجاد لغة واحدة، ولفهم الاستعارات في اللغات الأخرى، وتبلور على يد اليهودي الملحد ناعوم تشومسكي، ثم ما كان من حسان تمام ودك الباب وغيرهم، أن أخذوا فصولاً من النحو والبلاغة القديمة ووضعوا لها أسماء حديثة (تداولية) إن صح التعبير بما لا طائل تحته.

اقتباسات لابد منها

شزرات فكرية حول اللغة والبلاغة

عن المفكر الجزائري مالك بن نبي (مهندس كهربائي من فرنسا - مؤسس علم الاجتماع الإسلامي الحديث).

ابذر يا أخي الزارع في الأخدود الذي يمتد بعيدًا من أجل جيل قادم.

ها هي بعض الأصوات قد ارتفعت، الأصوات التي أيقظتها خطواتك عندما كنت تحدو بالحاضرة إلى كدك المبكر.

فهؤلاء الذين استيقظوا سيلتحقون بك بعد حين.

غنّ يا أخي الزارع لكي تحدو بأنشودتك الخطى المقبلة في غبش الفجر نحو الأخدود الآتي من بعيد، وليرتفع نشيدك الطروب كما ارتفع نشيد الأنبياء قديمًا عندما كانوا يغنون أسحارًا أخرى في تلك الساعات الملائمة التي تولّد الحضارات.

ولتدوّ أغنيتك أقوى من الجوقة التي يعلو ضجيجها هناك، ها هم قد أخذوا الآن ينصبون بباب المدينة التي بدأت تستجد يقظتها مرادف سوق الملاهي مع مسلياتها لتلهية القادمين،

لقد أقاموا الحشود والمنصات من أجل المشعبذين والبهلوانات، حتى يغطي عجيجهم على نبرات حدائك.

ولقد أوقدوا المصابيح الخادعة حتى يحجبوا بها النهار المقبل، ويلفوا شبحك بالغمام في السهل حيث تسير، لقد زينوا الوثن لكي يحقروا الفكرة.

- شروط النهضة.
- آفاق جزائرية.

عن نظرية منهاج البلغاء م. أبو موسى، حصل على حصة وزيرية بعد ثورة الجزائر.

منهاج البلغاء القرطاجني

م. أبو موسى

لا بد أن نعتقد أن أفكار البشر لها مواضع أقدام مشتركة، وخصوصًا فيما كان مصدره الفطرة الإنسانية، فكلنا من بني آدم، فلو كان كل تشابه يعني الاقتباس لاختلط الحابل بالنابل وكان أرسطو زبور البلاغة، وإن الشاعرين وقد اتفقا في الفكرة، لا بد أن يختلف بيت عن بيت.

وهنا مربط الفرس وظهور البلاغة، وأيهما أبلغ.

بدأت البلاغة الغربية متأخرة جدًا، وينحصر اهتمامها فيما قبل كتابة النص وتكوين مخيلة الشاعر، والمعنى المعجمي وما تدور حوله الكلمة، ووجود الكلمة في الجملة هو ما يحدد معناها ثم معنى المعنى، وكل ذلك مع الشكلانية والبنيوية والأسلوبية في بداية القرن العشرين، ثم بدأت المحاولة في إيجاد اللغة الأم (تداولية) فقسمت إلى اللغات الأوربية – الهندية - وجود النبرة وتحديد المعنى، واللغات السامية واندرجت تحتها (العربية – العبرية – الحبشية - الإيرانية وما تفرع منها) العربية الشمالية والجنوبية.... إلخ.

العرق الأنجلوساكسوني أو الجرماني الإنجليزية والألمانية وبعض اللغات المتفرعة منها كالهولندية..... إلخ.
اللاتين واللهجات المندرجة منها كالفرنسية - الإيطالية - الإسبانية.

وتنحصر البلاغة الغربية في إيجاد اللغة الأم، إذ نشأت للحاجة للتجسس ومعرفة المجازات في كل لغة، وهي تختلف بالآلاف في اللغة الواحدة وهذا شيء مستحيل.
وليس مثيل السياق هو التداول، فمثلاً عندما تكلم شخصًا في التليفون فيقول "أحمد"، فإنه يقصد: أحمد يكلمك، أو أنا أحمد، وهكذا.

وإدخال الإشارة واللغة المتكلمة غير المكتوبة، ثم تطور الكلمة عبر العصور والتي قد تصبح مجازًا في أحد عصورها وهكذا.
والموضوعات التي تدرسها البلاغة الغربية بعيدة عن البلاغة العربية، حتى أنهم يضعون المنطق والفصاحة والفلسفة والقدرة على المبالغة والحجاج من أدوات البلاغة!!
ملاحظات مهمة

إن المعادلة الإبداعية تتشكل هكذا:

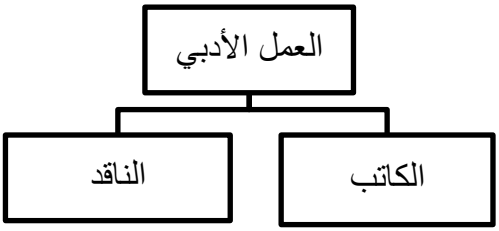

وأي شطب لعنصر من هذه العناصر يزلزل العمل ويصيبه بانهيار Cal plus.

وقد وقعت البلاغة والأسلوبية في خطأ واحد، فتقول هنا تشبيه وأداته الكاف والمشبه كذا والمشبه به كذا، والمشترك البلاغي عقلي وهكذا، ولا تبين أهمية ذلك للعمل نفسه، وكيف رفع ذلك التشبيه من خلال النظم القيم البلاغية، وكذلك تعد الأسلوبية كم لونًا أحمر وأخضر... إلخ، كم جملة فعلية واسمية، دون أن تبين كيف أفاد هذا العمل نفسه، فأصبحت البلاغة قواعد منطقية رياضية بحتة، وكذلك تحول النص على يد البنيوية إلى إحصاء رياضي.

البلاغة الغربية بدأت من خلال قرن وبدأت العربية منذ ١٥ قرنًا، بعد تداعيات البنيوية والتداولية لد. ناعوم تشومسكي هي والتفكيكية لجاك دريدا.

وتعد الدراسات اللسانية علمًا يؤسس لمناهج في دراسة اللغة ذات قواعد دقيقة، الأمر الذي نجم عنه نقد الأدب الشكلي Formalism وتعد الشكلانية الروسية هي بداية هذه الدراسة، ويمكن فهمها بفهم Formalism على أساس Strum، ثم جاءت حلقة فيينا كمحاولة للتأسيس لأسلوب علمي بحق يخلو من البلاغة وفشلوا تمامًا.

وانطلاقاً من تعريف اللسانيات La linguistigue بأنه العلم الذي يدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

المقاربة التداولية.

l'approche pragmaligue البر مجانية.

مقاربة فلسفية فكرية لسانية تضم مجموعة من المناهج والنظريات التي تهتم بالخطابة ذات البعد الإقناعي التأثيري والتوجيهي التربوي، كالخطاب الديني والخطاب السياسي، والخطاب الإعلامي،

وتتأسس المقاربة التداولية على فكرة رئيسية مفادها أن الأشياء تعرف من خلال آثارها في الواقع أو وقعها.

ومن ثم تبحث التداولية بمنحاها اللساني الإنجليزي والفكري الفلسفي والأمريكي عند أثر فاعليتها في الفكر والواقع، وتظهر هذه الفاعلية من خلال الخطابات اليومية التي ينتجها أفراد المجتمع، (ومن ثم فاللغة ملك لك مجتمع) خطابات خاصة رسمية سياسية دينية أو إعلامية أو أدبية.
وعليه فالتداولية أو خصائص الإقناع والحجاج (تختلف تماما عن البلاغة في أنها فلسفة جمالية بالدرجة الأدبية)، فهي خطابات لسانية أو إشارات جسدية
ألوان....
صور.....
وتختلف عن البلاغة العربية في أن الاقتصار على الكتابات الأدبية، فهي دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني، أي لسانيات الكلمة في مقابل لسانيات الجملة، بعكس النحو العربي وبلاغته تنطلق التداولية كظاهرة خاضعة للمجتمع من فكرة جريان الكلام على الألسن مع الحركات الجبرية....

إلخ، لذلك تعرف على أنها دراسة.. حيث تنطلق في دراستها للغة من فكرة جريان الكلام على الألسن أي من التلفظ Enonclalion ذاته بوصفه عملية خاصة بالفرد تتجلى في ممارسة اللغة بهدف إيصال الرسالة أو الخطاب إلى المخاطب والتأثير في ضمن عنصر التفاعلية.

ولاهتمامها بلسانيات الكلام صار تميزها قائمًا بين الملفوظ الذي يعد فعلا للقول، أي بين القصد المخاطب من الكلام Panale وما يفهم من الكلام، وهنا تكمن التأويلية من اختلاف المقصود عن المفهوم، وهو يرى العمل إن كان بشرياً أو التأويل في القرآن وخاصة في الأسماء والصفات.

فالتلفظ إذن أساس التداولية في الشكل الظاهري، إذن من دون إيصال الرسالة لا يتحدد تأثيرها. وكلتا العمليتين تخضع لعامل السياق (context) أو المقام (Situation). أي تتجاوز دلالة النص إلى تأويله وتأثيره.

وحيث أن اللغة في نظر التداولية منتج أساسي يخضع لما هو كل منتج أساسي (التأويل - اللفظ (الصوت) - الإشارات - الغمزات.... إلخ) وهذا ما لا يخضع له النص القرآني الشريف أو الحديث، فهي خارج دراستها.

❊ ❊ ❊

الفهرس

البلاغة ومراحل تطورها ٥

الإعجاز القرآني ٧

التصوير الفني في لقرآن ٨

البلاغة وآيات القرآن ٩

البلاغة وآيات القرآن ١٠

بلاغة النظم القرآني ١٢

دار إضافة
للنشر والتوزيع
الإسكندرية
ج . م . ع
www.Idafabooks.com